تشكيل المعنى الشعري

الأستاذ الدكتور
محمود درابسة
جامعة اليرموك

دار جرير
للنشر والتوزيع
www.darjareer.com



تشكيل المعنى الشعري

قراءات نقدية في الشعر العربي

تشكيل المعنى الشعري: قراءات نقدية في الشعر العربي

الأستاذ الدكتور محمود احمد درابسة

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2009/10/4573)

رقم التصنيف : 811.09

الواصفات:/الشعر العربي// النقد الأدبي// التحليل الأدبي/

الطبعة الأولى 1431 هـ - 2010 م



عمّان-شارع الملك حسين - مقابل مجمع الفحيص التجاري

هاتف : 4651650 - فاكس : 4643105 6 962+

ص . ب . : 367 عمّان 11118 الأردن

www.darjareer.com - E-mail: info@darjareer.com

ردمك ISBN 978-9957-38-168-4

تشكيل المعنى الشعري

قراءات نقدية في الشعر العربي

الأستاذ الدكتور

محمود درابسة

جامعة اليرموك

اربد - الأردن

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م



الإهداء

إلى زينة الحياة وجوهرها

إلى أبنائي بشر وعون وزيد

محبة واكراماً........

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث

النزعة الرومانسية في شعر عبد المنعم الرفاعي

الفصل الرابع

الغربة في شعر حسن بكر العزّازي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يتناول هذا الكتاب موضوع تشكيل المعنى الشعري من خلال قراءات نقدية لنصوص من الشعر العربي بمختلف عصوره، من العصر الجاهلي ثم الأندلسي إلى العصر الحديث دون تمييز بين زمن وآخر، ولعل قراءة النص من زمن لآخر تثبت دون ريب بأن النص الشعري هو لوحة فنية تعاد قراءتها من قارئ إلى آخر، وتختلف هذه القراءات وتتعدد زوايا النظر فيها من خلال تنوع ثقافة القارئ، وعمق معرفته.

فقراءة النص الشعري، هي ممارسة نقدية شاقة لا تتوقف عند الظروف المحيطة بالمبدع بل تسبر غور النص من حيث بناؤه ولغته وأسلوبه، ولعل هذه النواحي الفنية من أصعب النواحي التي تشغل الناقد القارئ.

ولذا فإن قراءة النص الشعري تتناول المستوى الفني والجمالي للنص. وبالتالي فإن هذه القراءة سوف تحاول استكشاف أسرار النص اللغوية والأسلوبية وتفكيكها، لكي تتوقف عند قيمته الفنية.

وقد تناول هذا الكتاب أربعة فصول، كان أولها قراءة نقدية لقصيدة بشر بن أبي خازم في رثاء نفسه، حيث تناولت هذه القراءة الأبعاد الانسانية والمكانية في النص الشعري، وكذلك الإمكانيات الفنية التي جعلت النص يحمل اكثر من دلالة للتأويل والاستقصاء.

وأما الفصل الثاني فقد تناول قصيدة ابن خفاجة الأندلسي التي يصف فيها الجبل لتجسد ثنائية الحياة والموت في حياته، حيث عبرت هذه القصيدة عبر تقنياتها الفنية المدهشة عن النزعة الفلسفية عند الشاعر في نظرته للموت ومعاينته لحقيقة الوجود.

وأما الفصل الثالث، فقد عالج نصاً من الشعر المعاصر في الأردن، حيث تناول النزعة الرومانسية عند الشاعر عبد المنعم الرفاعي، كما كشفت قراءة النص عن القدرات الفنية التي وظفها الشاعر في التعبير عن رؤاه وأفكاره ومشاعره الانسانية.

ويأتي الفصل الرابع ليعالج نصاً شعرياً لشاعر أردني معاصر هو الشاعر حسن بكر العزازي، الذي جسد من خلال ديوانه معنى الغربة عند الشاعر.

وكشفت قراءة النص عن الصورة التي عبر من خلالها الشاعر عن معاناته في الغرب، كما بينت القدرة الفنية والأسلوبية من خلال توظيف أساليب الاستفهام والنداء في بناء صوره الشعرية التي استطاع من خلالها التعبير عن همومه وأحزانه.

الأستاذ الدكتور

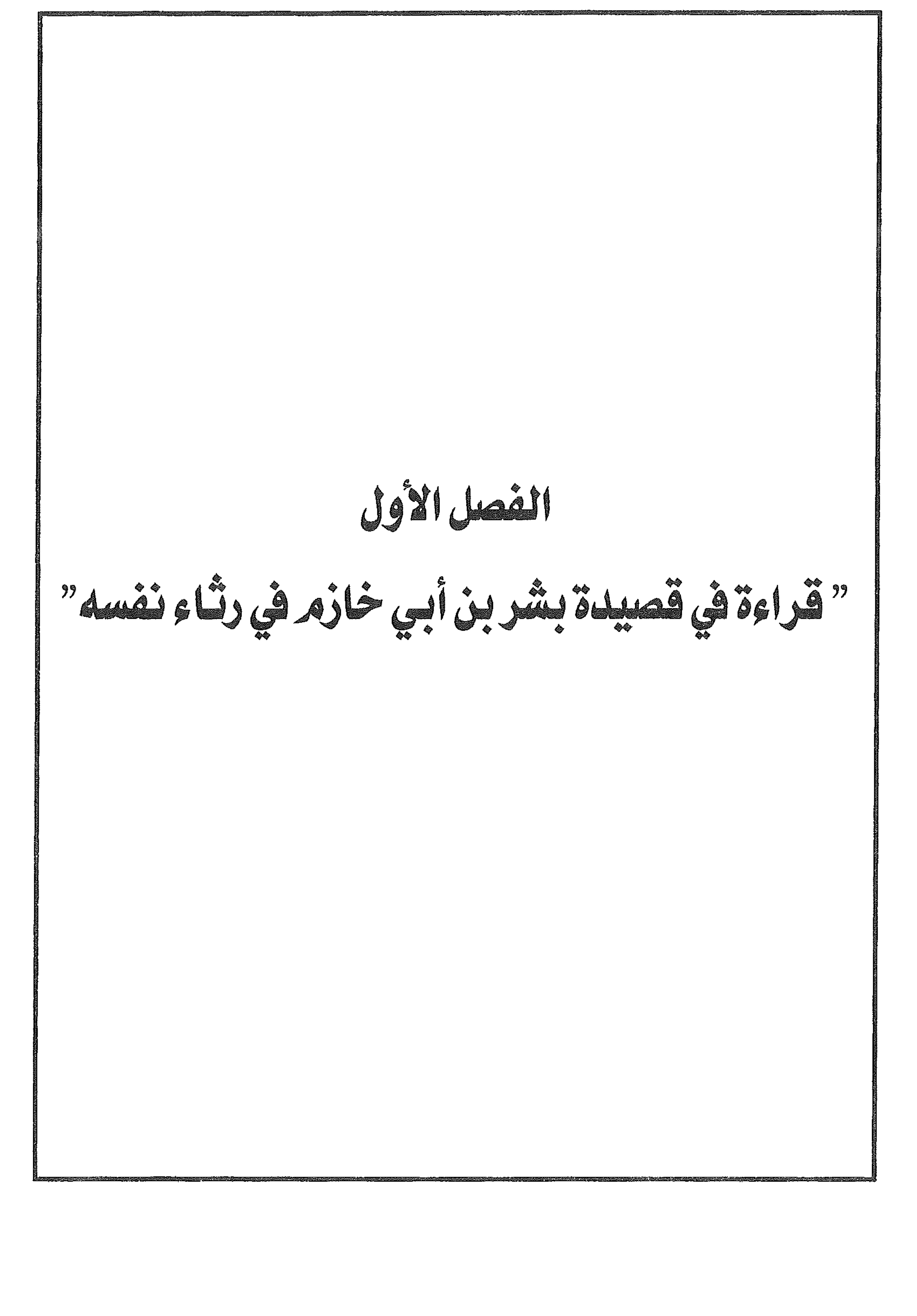
محمود محمد حسن درابسة

قسم اللغة العربية

جامعة اليرموك

اربد – الأردن

2010 م



الفصل الأول

" قراءة في قصيدة بشر بن أبي خازم في رثاء نفسه "

الفصل الأول

قراءة في قصيدة بشر بن أبي خازم في رثاء نفسه

تتناول هذه القراءة معالجة لنص شعري جاهلي يعود للشاعر بشر بن أبي خازم الأسدي[1]. وتنظر هذه القراءة إلى النص نظرة متعمقة في بنيته الأسلوبية والموضوعية بعيداً عن الأشكال والقوالب الجاهزة التي جاء بها الدارسون العرب ليتناولوا من خلالها شعرنا العربي القديم فزادته هذه الأشكال والنظريات غربة وتعقيداً. ولذلك فإن هذه القراءة سوف تستغل كل عناصر الإبداع في العمل الشرعي لمعالجة هذا النص الذي رثى فيه الشاعر نفسه. وذلك عن غير ما هو مألوف في فن الرثاء العربي. حيث يرثي الإنسان عادة صديقاً أو قريباً له. ولهذا فإنه لم يعد بإمكان الدارس العربي اليوم أن ينظر أيضاً إلى النص الشعري من خلال البيت أو المقطع وإنما عليه أن ينظر إلى النص الشعري بوصفه بنية كلية موحدة دون تفكيك لأوصاله. وعلى هذا الأساس فإن القراءة هنا لا تغفل عن عناصر الإبداع

التي يتشكل منها النص وهي اللغة الشعرية والصورة والايقاع والأشكال البلاغية والأسلوبية[2] التي تشكل المادة الأولية التي تمنح النص الحياة والسمة الشعرية. وبدون هذه العناصر يبقى النص عبارة عن شكل لغوي دون حياة ودون قدرة على التأثير بالمتلقي. فالنص الشعري الذي يتكون من لوحات شعرية كنص بشر بن أبي خازم، فإن كل لوحة أو موضوع فيه يقود إلى الموضوع الذي يليه ليصنعا معاً موضوعاً واحداً هو تلك الثنائية التي شكلت النص عند بشر وهي ثنائية الحياة والموت أو الحضور والغياب.

فالقصيدة تدور حول غرض واحد هو رثاء النفس. ويعد هذا اللون من الرثاء لوناً متميزاً. لأنه يعبر عن حالة الشعور الانساني ازاء ثنائية غير قابلة للتوحد أو الانصهار في صورة واحدة وهي ثنائية الحياة والموت أو الحضور والغياب أو الحركة والسكون. كما يجسد هذا اللون من الرثاء موضوعاً جديداً لم يقف عنده الدارسون العرب القدماء بما يستحق من طول التأمل والتفكير. فهذا الموضوع يشكل فلسفة معينة نشأت مع الخليقة منذ بدايه هذه الدنيا. هذه الفلسفة تتمثل في التفكير والتأمل بقضية خلق الانسان وفنائه. وهذا ما دأبت تعالجه الكتب السماوية فيما بعد، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفسٍ ذَائِقَةُ المَوتْ ﴾(العنكبوت:57)[3]. ولذلك فإن رثاء الشاعر لصديق أو أخ له يعبر عن نوع من الشعور الإنساني الصادق تجاه

فقيد قضى نحبه بعد أن رافق الشاعر في هذه الحياة ردحاً من الزمن، ولكن عندما يرثي الإنسان نفسه فإن ذلك يجسد حالة من الصدمة أو الخوف والرهبة من ذلك المصير المجهول وهو الموت، إنها رحلة دون عودة. كما يمثل هذا الحدث مواجهة حقيقية آنية لا ريب فيها مع الموت صراعاً بين البقاء والفناء، وهذا الشيء لا يمكن تصوره من خلال رثاء الشاعر لصديق أو أخ مثلما يتصوره الإنسان ويعايشه عندما يرثي المرء نفسه ووجوده ويضع نفسه في دائرة الموت، ذلك المصير المجهول الذي تعددت صوره في ذهن الانسان القديم[4].

ولذا فإن قراءة النص هنا سوف تستغل كل الإشارات الأسلوبية التي تخدم النص وتمنحه الحياة، فضلاً عن اللغة التي تضيء عالم النص المغلق لتوضح التجربة الشعرية التي تختبئ خلف اللغة الشعرية [5]. فالنص الشعري هنا يشكل نوعاً من الرسالة أو الوصية التي يكتبها الشخص في لحظة احتضاره أو يبعث بها من عالم الموت والسكون إلى عالم الحركة والحياة ليشرح لهم تجربته الحزينة في مواجهة الموت، وهذا ما فعله شاعرنا الأسدي عندما شعر بدنو أجله بعد أن أصيب بسهم قاتل، فاستذكر عندئذ ابنته "عميرة" التي تعطي هنا في النص أكثر من دلالة ومعنى، **يقول بشر بن أبي خازم الأسدي:**

1. أسـائلةٌ عُمَيْـرةُ عـن أبيهـا ... خـلالَ الجيشِ تعـترفُ الرِّكابـا

2. تُؤمـلُ أن أؤوبَ لهـا بنهـبٍ ... ولم تعلـمْ بـأنَّ السَّـهْمَ صـابا

3. فـإنَّ أبـاكِ قـد لاقـى غُلامـاً ... مـن الأبنـاءِ يلْتهـبُ التهابـا

4. وإنَّ الـوائليَّ اصـابَ قلـبي ... بسـهمٍ لم يكـن يُكْسَـى لُغابَـا[6]

5. فَرجِّـي الخيرَ وانتظـري إيـابي ... إذا مـا القـارظُ العَنَـزِيُّ آبـا[7]

6. فَمن يكُ سـائلاً عـن بيتِ بشـرٍ ... فـإنَّ لـه بجنـبِ الـرَّدهِ بابـا[8]

7. ثـوى في مُلْحَـدٍ لا بُـدَّ منـهُ ... كَفَـى بـالموتِ نأيـاً واغترابـا

8. رهـينَ بلـىً. وكـلُّ فتـىً سَـيَبْلَى ... فـأذري الـدَّمْعَ وانْـتَحي انتحابـا

9. مَضى قَصْدَ السَّبيل. وكـلُّ حَـيٍّ ... إذا يُـدْعَى لميتتـهِ أجابـا

10. فإنَّ أهلـكُ عُمَـيرَ فَـربَّ زحـفٍ ... يُشَـبَّهُ نَقْعُـهُ عَـدْواً ضَـبابا

11. سَـموْتُ لـهُ لألبِسـهُ بزَحـفٍ ... كمـا لَفَّـتْ شَـآمِيَةٌ سَـحَابَا[9]

12. علـــى رَيـــذٍ قَوائِمُـــهُ إذا مـــا   شأَنَهُ الخيلُ يَنْسَربُ إنْسرابا[10]

13. شَـديد الأسـر يحْمـل أريَحيّـا   أخـا ثِقَـةٍ إذا الحـدثان نابَـا[11]

14. صَـبُوراً عنـد مختلـفِ العَـوَالي   إذا مـا الحـربُ أبـرزتِ الكَعَابـا

15. وطـالَ تَشـاجُرُ الأبطـالِ فيهـا   وأبْـدَتْ ناجـذاً منهـا ونابَـا[12]

16. فَعَـزَّ علـيَّ أن عَجِـلَ المنايـا   ولّمـا ألـقَ كَعْبـا ولا كلاَبَـا[13]

17. ولّمـا ألـقَ خـيلا مـن نُمَيْـرٍ   تَضِـبُّ لِثاثُهـا تَرْجُـو النِّهابَـا[14]

18. ولّمـا تَلْتَـبِسُ خيـلٌ بخَيْـلٍ   فَيطَّعنُـوا ويضـطربُوا اضـطرابا

19. فَيـا للنـاسِ إنَّ قنـاةَ قَـومِي   أبـتْ بثقافِهـا إلا انقلابَـا

20. هُمُ جَـدَعُوا الأنُـوفَ فَاوْعَبُوهـا   وهُـمْ تركـوا بَـني سَـعدٍ يَبَابَـا[15]

تتضمن القصيدة أربع لوحات شعرية تنصهر معاً لتشكل لوحة واحدة هي النص الذي ندرسه في هذا البحث. واللوحات الأربع هي: لوحة المفتاح التي تمثل الابنة "عميرة" التي تسأل عن أبيها المفقود والذي ذهب ولم يعد، ولوحة بشر الشاعر

القتيل، واللوحة الثالثة هي لوحة بشر الفارس المحارب ثم أخيراً لوحة الجماعة أو نداء الأهل والعودة من دنيا العزلة ومواجهة المصير وحيداً إلى محاولة العيش مع الأهل، وذلك رفضاً للموت والانفراد في مواجهته.

وقد بدأ الشاعر لوحته الأولى بصيغة التساؤل، ولعل هذه الصيغة تعكس حالة القلق والتوجس الذي اسقطها الشاعر على ابنته التي قلقت على مصير والدها فأخذت في حيرة واضطراب تسأل عنه وسط جيش كبير، يقول:

أسائلةٌ عُمَيْرةُ عن أبيها　　　خلالَ الجيشِ تعترفُ الرِّكابا

لقد حاول الشاعر من خلال تساؤل ابنته عنه أن يعطي نفسه منزلة بين الأحياء، يهتمون به، ويبحثون عنه، وهو نوع من الربط بين عالم الموت الذي يتصور الشاعر مواجهته من خلال رثائه لنفسه وبين الحياة الدنيا من خلال ابنته التي شغلت نفسها بأمره، وقد استعمل الشاعر صيغة التصغير "عميرة" لتدل على التدلل والتحبب وربما ترمز إلى العمر والبقاء والحياة وهي نوع من التمرد على ذلك المصير المرعب وهو الموت. ولذا فإن عميرة هنا تدل على الصورة الطبيعية لحالة القلق والخوف والتوجس من الاقتراب من ذلك العالم المجهول والمصير المزعج وهو الموت والفناء والانتهاء. فالشخص القلق هو الذي يتوقع الشر[16] ، هذه سمة الحياة في

المجتمع الجاهلي، ذلك المجتمع الذي صدم أول مرة بطبيعة الحياة وكنه الوجود، ولذلك يرى المرء في الشعر الجاهلي نغمة حزن وحيرة وتساؤل واضحة تعبر عن حالة القلق والتوجس والتأمل في مظاهر الكون وبخاصة من ذلك المصير المجهول الذي لا يفكر فيه الانسان إلا لحظة وقوعه وهو الموت[17]. ولذا فإن مفتاح هذه القصيدة قد جسد الثنائية التي تشكل النص هي ثنائية الموت والحياة أو الحضور والغياب، وبذلك يكون التساؤل في اللوحة الأولى في قصيدة بشر قد طرح الرؤية المستقبلية لما بعد الحياة وبعد رحيل الشاعر من هذه الدنيا، وهذا استشراف لمرحلة ما بعد الحياة، ولذلك فإن الحزن والرعب الذي يداهم الانسان عند احتضاره وكذلك الخوف الذي يخشاه من قدوم الموت هو نفسه ما يصيب الأحياء أيضاً بفقدهم لأحبائهم. ولهذا فإن تعلق الشاعر بابنته عميرة يعود بالنسبة له لأنها تشكل الامتداد الطبيعي لماضيه ومستقبله بعد رحيله، حيث يبقى في ذاكرة أحبته، وهذا تمرد ورفض لفكرة الفناء والسكون والانتهاء.

ويتابع الشاعر وصف هذه اللحظات الدرامية في اللوحة الأولى المتمثلة بحالة الذهول والدهشة وقسوة الانتظار التي أصابت ابنته عميرة وهي تبحث في وسط جيش ضخم العدد عن أبيها، فقد كانت تعيش مع الأمل في عودة هذا الأب لتحظى بالغنيمة والنهب الذي سيجلبه لها معه، يقول الشاعر:

تُؤمـــلُ أن أؤوبَ لهـــا بنهـــبٍ   ولم تعلــمْ بـــأنَّ السَّـــهْمَ صـــابا

فالنهب والكسب هو ديدن الحياة الجاهلية وهو وسيلة العيش ورمز الوجود والفروسية والحضور في الحياة، بيد أن بشر بن أبي خازم قد رسم في الشطر الثاني في بيته صورة اللحظة الحاسمة في حياته والتي كانت سبب موته والمتمثلة بالسهم القاتل الذي أصابه، وبذلك فقد أنهى السهم الآمال وسبل العيش وسلامة العودة[18].

وقد كشف البيتان الثالث والرابع من اللوحة الأولى عن معضلة الشاعر الحقيقية التي تتمثل في صراعه بين الحياة والموت أو القوة والضعف، فقد استعمل الشاعر كلمة الأب مقابل الأبنة ثم الغلام الوائلي الذي يلتهب التهابا كما وصفه، وهذه اشارة إلى تبرير عجزه عن مواجهة هذا الغلام، فالصراع بينهما هو صراع القوة والضعف أو الفتوة والشيخوخة. ولعل تكرار الفعل "يلتهب" ما يضفي على اللوحة وعلى هذا المشهد من التأثير والعنف في ايقاع الكلمة ومضمونها الشيء الكثير، ويجسد جانباً من حدة الصراع الذي يواجهه الشاعر.

ويبدو أن الشاعر قد فقد أمله بامكانية العودة إلى الحياة والبقاء إزاء ذلك الكابوس المرعب الذي لا يجد له تفسيراً وهو الموت، ولذا فقد ختم الشاعر لوحته الأولى بالسخرية المريرة ازاء فقدان الأمل بالحياة[19]. يقول مخاطباً ابنته:

فَرجّي الخيرَ وانتظري إيابي إذا ما القارظُ العَنَزِيُ آبا

وقد ارتبطت سخرية الشاعر في هذا البيت باستعماله للفعل "فرجي" الذي جاء مشدداً، وهو ما يدل على القسوة والمرارة التي تعتمل في قلبه، وكذلك في استعماله للقارظ العنزي كناية عن فقدان الأمل بالإياب ثانية إلى الحياة الدنيا وإلى أهله وابنته، ولعل الايقاع الموسيقي في هذا النص والمتمثل بالبحر الوافر قد ساعد على نقل مشاعر الشاعر الانسانية والحزن الذي يعانيه في مواجهته لرحلة اللاعودة وازاء انقطاع الأمل برؤية ابنته ثانية، فالبحر الوافر من أكثر البحور مرونة وقدرة على نقل الأحاسيس والمشارعر في فن الرثاء [20]، وبخاصة القافية التي شكلت نهايات الأبيات والمتمثلة بحرف الباء ثم ألف الاطلاق الذي جاء لينفث الشاعر من خلاله ما يحتبس في صدره من حزن وألم ومرارة وتفجع من صدمة الفراق.

ويتنامى فقدان الأمل عند الشاعر برسمة اللوحة الثانية والتي تمثل الأبيات من السادس حتى البيت العاشر من النص، تلك اللوحة التي تجسد صورة بشر القتيل أو صورة بشر في داخل القبر، حيث اللوحة المأوساوية التي انتهى اليها الشاعر، وقد بدأ الشاعر لوحته بالتساؤل كما هو الحال في البيت المفتاح في بداية النص، إذ حدد شاعرنا مكان قبره ليرشد السائلين عنه، وقد سمى الشاعر قبره بالبيت وهذا نوع من السخرية من الحالة التي وصل إليها، وربما تعكس تمسكه ببعض مظاهر الحياة المتمثلة بالبيت رمز الحركة والوجد. يقول:

فَمن يكُ سائلاً عن بيتِ بشرٍ فإنَّ له بجنبِ الرَّدهِ بابا

وقد أكد الشاعر مفهومه للموت الذي يقلقه كثيراً مثل غيره من أبناء زمانه بأنه يشكل الغربة والبعد واللاعودة إلى الأهل والأصدقاء والحياة. يقول:

ثوى في مُلْحَدٍ لا بُدَّ منهُ كَفَى بالموتِ نأياً واغترابا

وازاء هذه الحقيقة التي حطمت كل آماله وأمانيه فقد استسلم الشاعر للموت الذي لا بد أن يصيب كل انسان يدعى إليه. ولهذا فإن العزاء الوحيد له هو بكاء

ابنته، وقد كرر شاعرنا فعل النحب وهو البكاء الشديد لما لهذا الفعل من تأثير صوتي وحركة يعطي اللوحة تأثيراً قوياً في نفس المتلقي. يقول:

رهينَ بلىً. وكلُّ فتىً سَيَبْلَى فأذري الدَّمْعَ وانْتَحِي انتحابا

مَضى قَصْدَ السَّبيل. وكلُّ حَيٍّ إذا يُدعى لميتته أجابا

من خلال هذا العرض يتضح استسلام الشاعر إلى حقيقة تقادم العمر والموت، ولهذا فإن الانسان عبارة عن رهينة للموت، وهذه الحقيقة سوف تصيب كل فتى أو شيخ. ولعل اللغة السهلة وانسياب المعاني وهو من سمات فن الرثاء[21] وهذا ما جعل من الحكمة التي قدمها في هذه اللوحة أكثر تأثيراً وإقناعاً. وقد أنهى الشاعر هذه اللوحة باستعمال ضمير الأنا، وهو يمثل حالة التمرد على الضعف والقلق للخروج إلى موقف التحدي والمواجهة لهذا الوضع والصحو من حلمه في عالم الموت، ولذا فقد عد هلاكه بسبب مواجهته زحف جيش صعب المراس لا بسبب جبن أو خوف. يقول:

فإنْ أهلِك عُمَيرَ فَربُّ زحفٍ يُشَبَّهُ نقْعُه عَدواً ضَبابا

وإزاء تجربته في اللوحة السابقة مع الموت فقد انتقل في لوحته الثالثة لوحة الفروسية إلى مرحلة الصحوة من غفوة الموت التي أصابته ليستعيد ذاكرته مع واقعه فيرى نفسه فارساً محارباً يمتطي صهوة جواده الأصيل في مقارعة الأعداء.

يقول:

سَموْتُ لهُ لأَلِبسهُ بِزَحفٍ   كما لَفَّتْ شَآمِيَةٌ سَحابَا

على رَبِذٍ قَوائِمُهُ إذا ما   شَأَتْهُ الخيلُ يَنْسَربُ إِنْسِرابا

وقد أطال الشاعر في هذه اللوحة وصف صحوته ولقائه العدو، إذ يعز عليه أن يصيبه الموت قبل أن يشفي غليله من أعدائه. ولذا فقد جسد الشاعر هذا الموقف في صورة حركية حيث تحتدم فيها المواجهة وتلتقي فيه الخيول (انظر الأبيات 13-14). كما رسم الشاعر صورة جميلة للحرب مشبهاً إياها في قوتها ونضارتها بالفتاة الكاعب. يقول:

صَبُوراً عند مختلفِ العَوَالي   إذا ما الحربُ أبرزتِ الكَعَابا

وقد وظف بشر بن أبي خازم في هذه اللوحة التكرار توظيفياً قوياً بحيث ركز فيه على حرف النفي "لما" والذي يفيد وقوع الشيء، كما كرر الشاعر الفعل "التي"

والذي يفيد أيضاً المستقبل، إذ أصبح حديث الشاعر عن الزمن الحاضر والمستقبل بعيداً عن دائرة الموت والزمن الماضي. ولعل التكرار هنا قد اضفى بعداً موسيقياً جميلاً، فالشعر صورة جميلة من صور الكلام(22)، إذ أن تكرار الفعل أو الحرف يترك إيقاعاً موسيقياً جميلاً، فضلاً عن تأثيره المضموني في نفس المتلقي، فاللغة طاقة تكمن فيها المشاعر والأفكار معاً. يقول الشاعر:

فَعَزٌّ عليَّ أن عَجِلَ المنايا ولَمّا أَلقَ كَعْبا ولا كلاَبا

ولَمّا أَلقَ خيلا من نُمَيْرٍ تَضبُّ لِثاتُها تَرْجُو النِّهابَا

ولَمّا تَلْتَبسُ خيلٌ بخَيْلٍ فَيطَّعِنُوا ويضطرِبُوا اضطرابا

لقد كانت لوحة الفروسية هنا من أكثر اللوحات في النص قوة حركية، وذلك لأن الشاعر قد أراد أن يعوض من خلالها عن موقف الانكسار النفسي المعنوي في مواجهة الموت، وذلك باستعادته لمجده التليد وقوته في مواجهة مخاطر الموت. ولهذا فقد انتقل الشاعر من هذه اللوحة التي يجسد فيها قوته واعتزازه بنفسه إلى لوحة أخيرة هي لوحة نداء الأهل والناس أي العودة إلى عالمه الأنسي بعيداً عن عالم

الموت وقلقه وهواجسه. ولعل أسلوب النداء والاستغاثة من أكثر الأساليب حضوراً في فن الرثاء[23]. يقول:

فَيا للناسِ إنَّ قناةَ قَومي أبتْ بثقافِها إلا انقلابَا

هم جَدَعُوا الأنُوفَ فَاوْعَبُوها وهم تركوا بَني سَعدٍ يَبَابَا

وقد ظهر الانفعال والتوتر جلياً في اللوحة الأخيرة وهي لوحة الافتخار بقومه وأهله. وقد وظف التكرار هنا بشكل جيد وبخاصة تكرار الضمير "هم" الذي يبرز نزعة الاعتزاز بأهله وجماعته. فالتكرار سواء أكان لفظياً كما هو الحال هنا أو معنوياً فإنه يؤكد ما في نفس الشاعر من حزن وغم وهم في البعد عن الأهل وترك الأصدقاء[24]. فهذا التتابع للتكرار من خلال الضمير "هم" أو تكرار الأفعال أو الأسماء كما تبين فيما سبق يقدم نمطاً موسيقياً مؤثراً في نفس المتلقي وهذه سمة أساسية يعتمد عليها الشعر [25].

ولذا فإن قصيدة بشر بن أبي خازم الأسدي وعلى الرغم من قلة عدد أبياتها تجسد حالة من الشعور الانساني، ونوعاً من الصراع الذي تعانيه النفس الانسانية ازاء موقفها الحاد من قضيتي الحياة والموت أو الحضور والغياب ثم الحركة والجمود. ولعل هذه الاشكالية قد شغلت الانسان منذ بدء الخليقة وإلى اليوم الحاضر حيث

تشغل قضية الموت وحقيقته ذهن الانسان ومشاعره. ولذا فإن هاجس الموت وقلقه قد سيطر على الشاعر، فبدت قصيدته مقسمة إلى لوحة مرحلة ما قبل الموت وذلك في عيشه مع ابنته، ولوحة الموت وهي القاسم المشترك في القصيدة، ثم لوحة التمرد على هذه الحركة الدرامية التي عاشها مع الموت ومرارته، حيث أخذ يستعيد فيها صور البطولة والاعتزاز بالأهل وبالحديث بأسلوب الزمن الحاضر والمستقبل وترك أسلوب زمن الفعل الماضي. كما ساعد على نقل تجربة الشاعر للغة الشعرية السهلة والايقاع الحزين الذي نفث الشاعر أحزانه من خلاله، ولذا فإن انشغال الشاعر بالموت قد أبعده عن العناية بالزخرفة اللفظية والتعقيد في اللغة، ولعل هذا ما ساعد على بروز العاطفة الصادقة عنده بشكل واضح ومؤثر في النفس الانسانية.

الهوامش

* نشر هذا البحث في مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، ع 25، 1993.

(1) الشاعر بشر بن أبي خازم شاعر جاهلي بقي حياً حتى زمن قريب من ظهور الإسلام، وقد كان فارساً شجاعاً وشاعراً معروفاً من شعراء بني أسد. وقد خاض غمار معارك كثيرة حتى أصيب بسهم قاتل من غلام وائلي اسمه عمرو بن حذار وذلك في موقع يقال له الرده من بلاد قيس. وقال بشر هذه القصيدة بعد اصابته بالسهم، وفي لحظة الاحتضار تذكر ابنته عميرة وأخذ يتصور حالها بعد فراقه الحياة. ويرثي بشر نفسه في هذه القصيدة باسلوب يتميز بالفخر والاعتداد بالنفس أمام رهبة الموت. انظر. ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق، ط 2، 1972ـ ص 16-24.

(2) يمنى العيد: في معرفة النص، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1985، ص 91.

(3) سورة العنكبوت الآية رقم 57.

(4) انظرمعالجة هذه القضية في الفكر الانساني منذ نشأت الخليقة ومروراً بعصور الفلاسفة والعلم وانتهاء بعصر الديانات السماوية في كتاب: شورون، جاك: الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف حسين، عالم المعرفة، العدد رقم 76، الكويت 1984، ص 16.

(5) عيد، رجاء: دراسة في لغة الشعر (رؤية نقدية)، منشأة المعارف، الاسكندرية 1979، ص 20.

(6) الوائلي: هو قاتل الشاعر واسمه عمرو بن حذار، لغابا: الريش الرديء يكسى به السهم فلا يعتدل ولا يلتئم، فإذا رمي به لم يذهب بعيداً ولم يضب. انظر ديوان بشر بن أبي خازم، ص 24-30.

(7) القارظ العنزي: رجل من عنزة خرج يطلب القرظ، وهو شجر يدبغ بورقه وثمره، فمات ولم يرجع إلى أهله، فضربته العرب للمفقود الذي يرجع، انظر ديوان بشر بن أبي خازم، ص 26.

(8) الرّده: موضع في بلاد قيس فيه الشاعر.

(9) شآمية: ريح شآمية.

(10) ربذ قوائمه: أي فرس ربذ قوائمه، والفرس الربذ الخفيف القوائم في المشي، وشأته الخيل أي سبقته.

(11) الأسر: الخلق، حدثان الدهر: نوبه ومصائبه.

(12) العوالي: الرماح. الكعاب الجارية التي كعب ثديها أي نهد.

(13) كعب وكلاب: من أحياء بني عامر. انظر ديوان بشر بن أبي خازم، ص 28.

(14) نمير: حي مشهور من أحياء بني عامر. النهاب: الغنيمة.

(15) أوعبوها: استأصلوها بالجدع. بنو سعد هم سعد بن زيد من أحياء تميم. اليباب: الخراب.

(16) انظر. عبد الرحمن. عفيف: ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي، دار العلوم للطباعة والنشر، ط1، الرياض، 1983، ص 27.

(17) المرجع نفسه، ص 49.

انظر عبد الخالق، أحمد محمد: قلق الموت، عالم المعرفة، العدد رقم 111، الكويت 1987، ص 25.

(18) انظر. باقازي، عبد الله أحمد: رثاء النفس في الشعر العربي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1987، ص 234.

(19) انظر. المرجع نفسه، ص 296.

(20) خلوصي، صفاء: فن التقطيع الشعري والقافية، مكتبة المثنى، بغداد، 1977، ص 84.

(21) انظر. الحاوي، ابراهيم: رثاء النفس بين عبد يغوث بن وقاص الحارثي ومالك بن الريب التميمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988، ص 26.

(22) انظر، أنيس، ابراهيم: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 6، القاهرة 1988، ص 7-43.

(23) Rhodokanakis, N.: AL – Hansa und Ihre Trauerlieder, Wien 1904, P.60

(24) انظر، الخطيب، بشرى محمد: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام، وزارة الثقافة ، بغداد، 1977، ص 237.

(25) إ. ا. رتشاردز: مبادئ النقد الأدبي، ترجمة مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1961، ص 188.

المصادر والمراجع العربية

1- عبد الخالق، أحمد محمد: قلق الموت، عالم العرفة، العدد رقم 111، الكويت، 1987م.

2- باقازي، عبد الله أحمد: رثاء النفس في الشعر العربي، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، 1987م.

3- بشر بن أبي خازم الأسدي، الديوان، تحقيق عزة حسن، دمشق، ط2، 1972م.

4- الخطيب، بشرى محمد: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، بغداد، 1977م.

5- حاوي، إبراهيم: رثاء النفس بين عبد يغوث بن وقاص الحارثي ومالك بن الريب التميمي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988 م.

6- خلوصي، صفاء: فن التقطيع الشعري والقافية، بغداد، مكتبة المثنى، 1977م.

7- رتشاردز. إ. ا: مبادئ النقد الأدبي، ترجمة مصطفى بدوي، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1961م.

8- عيد، رجاء: دراسة في لغة الشعر (رؤية نقدية)، الاسكندرية، منشأة المعارف، 1979م.

9- شورون، جاك: الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف حسين، عالم المعرفة العدد رقم 76، الكويت 1984 م.

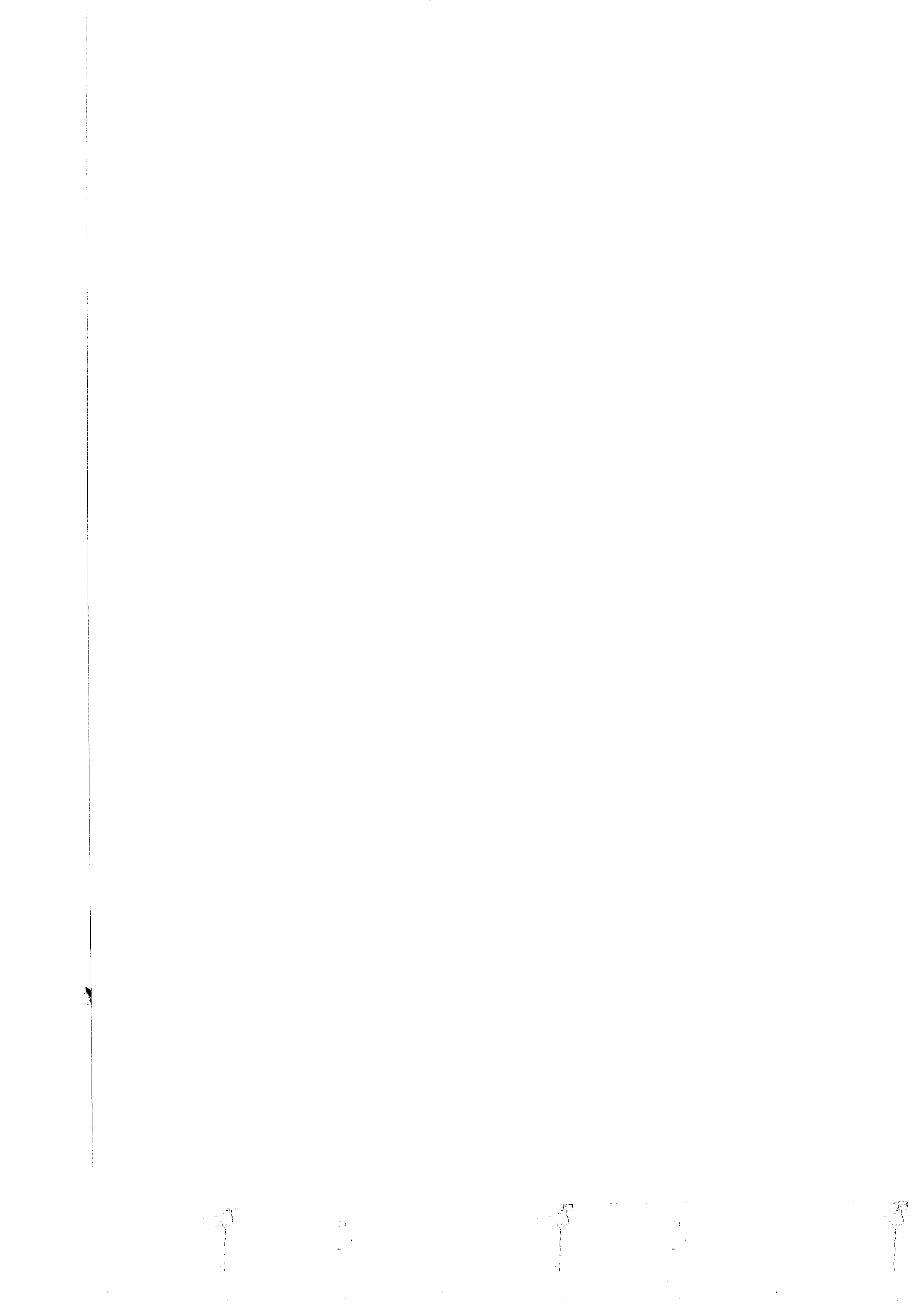
10 – عبد الرحمن، عفيف: ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي، الرياض، دار المعارف للطباعة والنشر، ط 1، 1983م,

11 – ناصف، مصطفى: قراءة ثانية لشعرينا القديم، بيروت، دار الأندلس، ط2، 1981م.

12- يمنى العيد: في معرفة النص، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1985 م.

المراجع الأجنبية:

1- Rhodokanakis, N.: AL- Hansa and Ihre Trauerlieder, Wien 1904.



الفصل الثاني

ثنائية الحياة والموت في قصيدة وصف الجبل لابن خفاجة

الفصل الثاني

ثنائية الحياة والموت في قصيدة وصف الجبل لابن خفاجة

تمهيد:

لقد عاش ابن خفاجة (450-533 هـ) في فترة صعبة من التاريخ العربي في الأندلس. فقد بدأ الضعف يدب في جسم الدولة الأموية، وذلك بعد أن استبد العامريون بأمر الخلافة، حيث أخذ رؤساء الطوائف يستقلون بإماراتهم التي يحكمونها، فعرفوا بعد ذلك بملوك الطوائف، الذي امتد حكمهم من سنة 1403 هـ/ 1012 م – 536 هـ/ 1141 م[1].

وفي اطار هذه التغيرات التي أصابت الدولة العربية في الاندلس وتمزيقها إلى دويلات صغيرة، فقد استقيظت اسبانيا النصرانية لتواجه تلك الدويلات المتحاربة والمفككة الأوصال، واللاهية في الترف، إضافة الى وقوف البربر في وجه هذه الدويلات أيضاً، وكذلك تعاون الاسبان النصارى مع النصارى في غرب أوروبا، وبفعل هذه الأسباب مجتمعة فقد وهن ملوك الطوائف، واستطاع الاسبان في آخر الأمر من التغلب

على هؤلاء الملوك الضعاف وانهاء حكمهم، وكان ذلك بين سنة 92 هـ أي 711 م إلى 1492 م[2].

وإلى جانب التعصب والاستبداد واللهو والحرية المفرطة التي أصابت الحياة في الأندلس[3]، فقد نشأت تيارات تدعو إلى الزهد والابتعاد عن ترف الحياة وملذاتها، ولعل ذلك يعود إلى فوضى الحياة السياسية، والاضطراب الذي شمل مناحي الحياة المختلفة مما شجع كل فرد على السعي الى تخليص نفسه من غوائل الحياة والنجاة من براثن الأوضاع الاجتماعية السيئة، مما جعل الزهد في الحياة مذهباً أدبياً وأخلاقياً[4]، كما ساعدت الحرية التي سادت آنذاك على ظهور إتجاه فلسفي أثر بشكل مباشر على الحركة الشعرية في الاندلس، فضلاً عن شعر أبي العلاء المعري وأثره في شعراء الأندلس[5].

وفي خضم هذه التقلبات السياسية والفكرية في الأندلس عاش ابن خفاجة حياته، حيث عكف في صباه على المجون واللهو والتمتع بالطبيعة الاندلسية الغناء التي تركت أثراً بارزاً على شعره، كما اقلع في شيخوخته عن حياة اللهو والمجون الى النسك والخوف من الموت بعد رحيل أصدقائه وبقائه وحيداً، حيث لم يتزوج خلال حياته، مما دفعه إلى التعلق برجال الدولة[6].

ولذا، فإن شخصية ابن خفاجة قد تـأثرت أيضـاً نتيجـة للأحـداث الجانحـة الـتي منيت بها الأندلس، ما جعله ينأى بنفسه عن هذه الحياة المتـوترة، وأن يميـل إلى العزلـة، وبخاصة بعد عودته إلى مسقط رأسه شَقَرْ التي أحتلها الاسبان أثنـاء الهجمـات والمعـارك المتواصلة بين ملوك الطوائف وجمـوع الاسـبان بزعامـة القمبيطـور. ولـذلك اتجـه ابـن خفاجة الى الزهد والتوبة، وصار شديد الاحساس بدنو الأجل، وبخاصـة بعـد أن تقـدم به السن، وعاصر تلك الأحداث التي عصـفت بالحيـاة الأندلسـية، ورحيـل أصـدقائه، وبقائه وحيداً كئيباً دون زوجة أو صديق[7].

وفي ضوء هذا التمهيد عن الأوضاع السياسية والفكرية في الأندلس وأثرها علـى شخصية ابن خفاجة ونظرته إلى الحياة وعلى شعره ايضاً، فسوف يتنـاول هـذا البحـث قصيدة وصف الجبل التي تمثل نظرة ابن خفاجة إلى الحياة وتقلباتها، كما تعكـس نفسـية ابن خفاجة وشخصيته. وهذه القصيدة النموذج تمثل ظاهرة الحياة والموت عنده بشـكل واضح، علماً بأن ثمة قصائد أخرى تتناول هذه الظواهر كقصيدة وصف القمر مثلاً.

(1)

تعالج هذه الدراسة موقف ابن خفاجة من ثنائية الحياة والموت التي تتجلى في ثنايا شعره وبخاصة قصيدة وصف الجبل التي تبرز فيها ثنائية الحياة والموت بشكل واضح، كما تشكل هذه الثنائية جوهر النص وأساسه. ويحاول الشاعر من خلال هذا النص معاينة الوجود وسبركنه هذه الحياة للوصول إلى فلسفة خاصة به تتمثل عبر التجارب المختلفة التي مر بها، كما تعاين هذه القصيدة حركة الزمن الدائبة إزاء الحياة القصيرة الفانية، فالنص يشكل مواجهة حقيقية للموت والفناء[8].

وقراءة النص هنا تتناول كل جزئياته التي تتضافر معاً عبر السياقات التي تنصهر في صياغة واحدة تجسد تجربة الشاعر وتوتره إزاء ظاهرة الموت والحياة[9]. فالدراسة هذه تتناول اللغة ومستوياتها المختلفة، اضافة إلى الايقاع والصورة بشكل متكامل، بحيث يعالج النص هذه العناصر الأساسية فيه معاً دون تجزيء لها مما يفقدها الحيوية التي تتوافر لها من خلال تناولها مجتمعة مما يمنح النص الحيوية والقدرة المتجددة على ابراز هذه الاشكالية الانسانية عبر الوجود في معاينة مسألة الموت والحياة من خلال هذا النص الشعري[10].

فالدرسة الأدبية ينبغي أن تعاين النص من داخله، وان تبتعد عن المظاهر الشكلية وتفسير الكلمات لغوياً، لتسبر جوهر النص الذي يجسد نفسية الشاعر الحقيقية ورؤيته للحياة[11]. وبخاصة قصيدة وصف الجبل التي جاءت في ظروف صعبة مرت على الشاعر، فجعلته يتأمل هذه الحياة ويحاول سبر كنه الموت وحقيقته من خلال رحيل أصدقائه وأحبابه، وبقائه وحيداً، مما جعل لهذه العزلة بعض التأثير في تصوره للحياة.

كما تتناول الدراسة المظاهر الأسلوبية المتعلقة باللغة ومستوياتها، واشكال التكرار، والاشارات البلاغية التي تعين على الوقوف على طبيعة تجربة الشاعر الفنية التي استطاع من خلالها تجسيد فكرته عن الحياة والموت مما شكل منها فلسفة تشاؤمية خاصة وسمت الشاعر بسماتها.

يقول ابن خفاجة في قصيدة وصف الجبل[12]:

1. بِعَيْشِكَ هل تَدْري أهُوجُ الجنائبِ   تَخُبُّ بَرحْلي أم ظُهُور النجائِب[13]

2. فما لُحتُ في أولى المشارقِ كوكبا   فأشْرَقْتُ حتى جُبتُ أخرى المغاربِ

3. وحيداً تهاداني الفيافي فأجْتلي   وُجوهَ المنايا في قناعِ الغياهبِ[14]

4. ولا جارَ إلا من حُسام مُصَمِّمٍ   ولا دارَ إلا في قُتُودِ الركائبِ[15]

5. ولا أنسَ إلا أن أضاحِكَ ساعةً   ثُغورَ الأماني في وجُوهِ المطالبِ

6. بليلٍ إذا ما قلتُ بادَ فانْقضى   تَكشَّفَ عن وَعْدٍ من الظَّنِ كاذبِ

7. سَحَبْتُ الدّياجي فيه سُودَ ذوائبٍ   لأعْتنقَ الآمالَ بيضَ ترائبِ[16]

8. فَمزّقْتُ جيبَ الليلِ عن شخصِ أطلسٍ   تَطلّعَ وضّاح المضاحك قاطب[17]

9. رأيتُ به قطعاً من الفجرِ أغْبَشا   تأمّلَ عن نجمٍ تَوَقَّدَ ثاقبِ

10. وأرعنَ طَمّاح الذُؤابةِ باذخٍ   يُطاولُ أعنانَ السماءِ بغاربِ[18]

11. يَسُدُّ مَهبُّ الريحِ عن كُلِّ وجْهةٍ ويَـزْحَمُ لـيلاً شُـبْهَةُ بالمناكِب

12. وَقُورٍ على ظهرِ الفلاةِ كأنَّهُ طوالَ الليالي مُطْرِقٌ في العواقِب

13. يلوثُ عليه الغيمُ سُودَ عمائمٍ لها من وميض البرق حُمْرُ ذوائبِ

14. أصختُ إليه وهو أخرسُ صامتٌ فحدَّثني ليلَ السُّرى بالعجائب

15. وقالَ ألا كم كنت ملجأً فاتكٍ وموطنَ أوّاهٍ تَبَتَّلَ تائبِ

16. وكم مرَّ بي من مُدْلجٍ ومُؤَوِّب وقالَ بظلّي من مطي وراكب[19]

17. ولاطمَ من نُكب الرّياح معاطفي وزاحمَ من خُضْر البحار جَواني[20]

18. فما كان إلا أن طوتْهم يدُ الرَّدى وطارت بهم ريحُ النَّوى والنوائبِ[21]

19. فما خفقُ أيكي غيْرَ رَجفةِ أضلعٍ ولا نَوْحُ ورْقي غير صَرخةِ نادب[22]

20. وما غيَّضَ السُّلوانَ دَمْعي وإنما نزفتُ دُموعي في فراق الأصاحبِ[23]

21. فَحتَّى متى أبقى ويظعنُ صاحبٌ أودِّعُ منهُ راحلاً غيرَ آيبِ[24]

22. وحتّى متى أرعى الكواكبَ ساهراً فمن طالعٍ أخرى الليالي وغاربِ

23. فرُحْماكَ يا مولايَ دَعْوَةَ ضارعٍ يَمُدُّ إلى نُعْمَاكَ راحةَ راغبِ

24. فأسْمَعَني من وعظهِ كُلَّ عبرةٍ يترْجِمُهَا عنهُ لسانُ التجاربِ

25. فَسَلّى بما أبكى وَسَرَّى بما شَجا وكانَ على ليلِ السُّرى خَيْرَ صاحبِ[25]

26. وقلتُ وقد نكّبتُ عنه لطِّيةٍ سلامٌ فإنّا مِنْ مقيمٍ وذاهبِ[26]

تتشكل قصيد وصف الجبل من ثلاث لوحات شعرية هي: البحث عن الحقيقة أو ما يمكن تسميته بالكشف عن كنه الحياة أو سر الوجود. وهذه اللوحة تمثل صورة الشاعر أو الوجه الخارجي للشاعر حيث القلق والمعاناة والتيه واستشراف كنه هذه الحياة. وأما اللوحة الثانية فهي لوحة وصف الجبل وتتمثل في البيت العاشر حتى البيت الثالث والعشرين، وتجسد هذه اللوحة الصورة الداخلية للشاعر، وذلك من خلال الظلال التي تتركها صورة الجبل في النفس، فالجبل يمثل

اسقاطاً لمشاعر الشاعر ومعاناته. وتمثل اللوحة الثالثة مرحلة إدراك كنه هذه الحياة وسبر غورها. فالشاعر في هذه اللوحة يقف على سر الوجود المحير بالنسبة للانسان، حيث يدرك حقيقة هذه الحركة والتغير والثبات في هذه الحياة، وذلك من خلال صورة الانسان، وصورة الجبل والطبيعة.

لقد كشفت اللوحة الأولى المشكلة التي تلح على ابن خفاجة وعلى الانسان الاندلسي بشكل عام وهي مشكلة الوضع الانساني عامة، كما كشفت عن الوضع الاندلسي القلق والمتوتر والمتوجس ازاء الواقع الذي يعيشه الفرد الاندلسي آنذاك وبخاصة ما أصاب الحياة العامة للاندلس من تغير وتشرد ومواجهة حقيقية للموت، أنها تمثل مشكلة المصير الانساني[27]. إن هذه المشكلة الانسانية قد دفعت ابن خفاجة إلى القلق إزاء الواقع الذي يعيشه، مما حدا به إلى التفكير بوجوده ومصيره[28] فأصبح إزاء حقيقة تلح عليه هي حقيقة الحياة التي تمر بسرعة فتأخذ معها مرحلة الشباب، كما تفرق الأصحاب والأحباب، وتترك الانسان ينتظر الحقيقة المرة المتمثلة بالموت والفناء والانتهاء. يقول ابن خفاجة: ((فأين ما كان من تلك الأيام المتخيلة من الأحلام؟ وأين من قد عرفنا وألفنا من الأخوان. بانوا، وكأنهم ما كانوا، وفقدوا، وكأنهم ما وجدوا ..... ثم آه! على شباب قد انقلب، وذهاب قد اقترب، فلا تناجي الا بعمل يتعقب، وأجل يترقب))[29].

وقد بدأ الشاعر لوحته الأولى بمخاطبة الجبل مستخدماً أسلوب القسم بقوله:

بعيشك هل تدري أهوج الجنائب   تخب برحلي أم ظهور النجائب

فالعيش هو الاشكالية التي يعاني منها الشاعر، فهي تمثل اشكالية الحياة عنده، فالشاعر يواجه منذ البيت الأول حالة التغير والحركة الخفية اللاارادية المتمثلة في حركة الرياح أو حركة الراحلة التي يرتحل عليها. فقد تساءل الشاعر بشكل يجسد حالة من الذهول والاندهاش ازاء هذه الحركة التي يقوم بها دونما حس بطبيعتها. ولذلك يتساءل الشاعر مستخدماً أداة الاستفهام الهمزة فيقول: أهوج الجنائب أم النجائب هي التي تدفعه وتسبب له حالة عدم الاستقرار والثبات. ولعل هذه الحركة هي نتيجة لعدم الاستقرار النفسي عند الشاعر. فهو يواجه حركة دائبة للطبيعة وكذلك للوضع العام في الاندلس حيث تقوم مالك وتندثر أخرى بحركة عجيبة يتأثر بها فيرتحل عن بلده مجبراً ويبقى يدور في دائرة التنقل وعدم الثبات، مما حدا به إلى التفكير بالطبيعة التي تتمثل بالرياح التي تشكل رمزاً للتغيير والشؤم في آن معاً.

وقد تابع في لوحته رسم حالة الذهول والقلق في ر حلته لكشف كنه هذه الحياة، حيث يعبر في البيت الثاني والذي يليه عن صدمته إزاء بحثه عن المجهول من معرفة حركة سيره وتنقله وحيداً دون خل أو رفيق، فالشاعر يعبر عن وحدته بعد

رحيل أصحابه وبقائه دون زواج في مواجهته لحقيقة الوجود. حيث بدا الانفعال والتوتر واضحاً عند الشاعر من خلال تتابع الأبيات التالية:

وحيداً تهاداني الفيافي فأجتلي   وُجوهَ المنايا في قناعِ الغياهبِ

ولا جارَ إلا من حُسام مُصَمَّمٍ   ولا دارَ إلا في قُتُودِ الركائبِ

ولا أنسَ إلا أن أضاحكَ ساعةً   ثُغورَ الأماني في وجُوهِ المطالبِ

فالوحدة في اطار الصحراء الواسعة التي تخفي في ظلمتها الموت والفناء، تلح على الشاعر مقاومة الخوف بالضحك ساعة أو بتذكر أهمية الجار والصديق، بعد أن أصبح بيت الشاعر هو راحلته التي ينتقل عليها، والتي تعكس حالة التغير وعدم الاستقرار. فالرحلة عبر الليل والظلمة تمتد إلى ما لانهاية حيث يكشف الليل عن ليل جديد تتبدد فيه الآمال وتتلاشى فيه الأحلام والأماني:

بليلٍ إذا ما قلتُ قد بادَ فانقضى   تكشَّف عن وَعْدٍ من الظَّنِ كاذبِ

وقد بلغ التوتر والعنف أوجه عند الشاعر في قوله:

فَمزَّقْتُ جيبَ الليلِ عن شخصِ أطلسٍ تَطلّعَ وضّاحُ المضاحك قاطب

إن استخدام الشاعر لصيغة المبالغة بقوله "فَمَزَّقْتُ" تجسد حالة العنف التي لجأ إليها الشاعر للكشف عن سر الوجود عبر رحلة الحياة. إذ واجه الشاعر في رحلته مشكلة التغير والزوال لممالك ودول، فأصابه ما أصاب هذه الممالك من التغير والتشرد ومواجهة الموت، مما جعله يعود بذاكرته إلى الماضي حيث السيف والقوة والراحلة التي كانت السبيل إلى قوة العرب عبر حضارتهم الممتدة إلى زمن بعيد. فالشاعر يواجه تحدياً من الواقع الذي يعيشه، ومن الموروث الذي وصل إليه عن اجداده العرب. فقد كان الماضي يعني القوة والشموخ بينما يعني حاضر الشاعر الضعف والقلق والخوف والموت بحقيقته المرة، ولذلك فقد أخذ الشاعر يحاول الكشف عن سر الحياة وحقيقة الموت من خلال الطبيعة التي تمثل وجوداً مستمراً تتبدل من خلاله الممالك والدول والأشخاص ، بينما تبقى هي شاهداً على تحولات هذا الوجود وتغيراته.

وتظهر الصورة الداخلية للشاعر من خلال اضفاء المشاعر الانسانية على الجبل الذي يمثل شخصاً آخر إزاء شخصية الشاعر(30)، بل أنه يمثل حقيقة الشاعر

نفسه، إذ إن ابن خفاجة لم يقصد تصوير الملامح الطبيعية البارزة في الجبل بقدر ما كان يريد تصوير ما تثيره هذه الملامح في نفسه. إذ إن الشاعر قد اسقط جميع أحاسيسه ومشاعره على الجبل، فبدا هذا الجبل الشامخ الوقور انساناً حياً يزيد مشاعر ابن خفاجة المرهفة إنسانية، ويبعث في نفسه الأمل والأناة مستمداً من أناة الجبل وطول تأمله العبرة والقدرة على مواجهة المصير.

فقد رسم الشاعر ملامح هذا الجبل بدقة متناهية وكأنه يرسم بالفعل ملامحه الخاصة بعد أن يستشعر بدنو أجله وباستثقاله للحياة. فقد بدت صورة الجبل بشكل مجسم بحيث ظهرت ملامح الكبر والشموخ والارتفاع، حيث يقف في وجه الرياح رمز التغيير والشؤم، تلك الرياح التي كانت تحرك الشاعر دونما إرادة منه. يقول:

وأرعنَ طَمّاح الذؤابةِ باذخٍ يُطاولُ أعنانَ السماءِ بغاربِ

يَسُدُّ مَهبَّ الريحِ عن كُلِّ وجْهةٍ ويَزْحَمُ ليلاً شُهْبَهُ بالمناكِب

إن صورة الجبل هي صورة الناسك المعمر الذي يطرق متأملاً بحركة الزمن وتقلب الأمور ورحيل أناس ومجيء آخرين في حركة دائبة غير متوقفة. يقول:

وَقُورٍ على ظهرِ الفلاةِ كأنّهُ طوالَ الليالي مُطْرِقٌ في العواقِب

فما كان إلا أن طوتْهُم يدُ الرَّدى وطارت بهم ريحُ النَّوى والنوائبِ

وقد استطاع الشاعر من خلال البحر الطويل أن يوفر ايقاعاً قوياً ينفث من خلاله أحزانه وآلامه، ولهذا فإن القارئ يلمس ويحس من خلال حرف الباء الذي انتهت إليه القافية قوة وعنفاً يجسد حالة الغضب التي تعتصر في قلب الشاعر ازاء تلك الحالة المبهمة التي تصيبه من خلال مراقبته ومعايشته لتقلبات الزمن. يقول:

فما خفقُ أيْكي غَيْرَ رَجفةِ أضلعٍ ولا نَوْحُ ورُقي غير صَرخةِ نادب

ولهذا نلمس أن الشاعر قد قدم من خلال خطابه الشعري هنا مقاطع موسيقية مؤثرة كما هو الحال في البيت السابق حيث نجد قوله فما خفق أيكي، ثم رجفة اضلع، ونوح ورقي، ثم صرخ نادب، إذ إن كل مقطع يعبر عن مشاعر حزينة تخرج من قلب الشاعر، فصورة حركة الاشجار في الغابة التي تشبه بأغصانها اضلع الشاعر المرتجفة الفزعة من حال الزمن الذي يعيشه، انقلبت هنا من صورة جمالية لاغصان السلام والمحبة والوداعة لتصبح حزينة تنوح وتندب شبيهة بصرخة الملهوف والفزع الذي يواجه صدمة الحياة، ويترقب الانتهاء والفناء والموت.

وقد بلغت حدة العاطفة والانفعال والتوتر أوجها عند الشاعر والجبل معاً من خلال استثقالهما للحياة بعد رحيل الاصدقاء والأحبة. إن هذا الفراغ العاطفي قد

جعل الشاعر يرى حياته في هذه المرحلة المتقدمة من العمر عبثاً. إذ إن حدة الصراع بين الحياة الثقيلة التي يعيشها الشاعر وبين الموت المرتقب قد برزت من خلال الأبيات المتتابعة التالية:

وما غَيَّضَ السُّلوانُ دَمْعي وإنما   نزفتُ دُموعي في فراق الأصاحبِ

فَحتَّى متى أبْقى ويظعنُ صاحبٌ   أودِّعُ منهُ راحلاً غَيرَ آيبِ

فحتَّى متى أرعى الكواكبَ ساهراً   فمن طالعٍ أخرى الليالي وغاربِ

إن هذه الأبيات تركز على المعضلة الجوهرية في حياة الشاعر من خلال تنازعه بين الحياة المملة الثقيلة وبين الموت المرعب المخيف. فقد كرر الشاعر هنا على لسان الجبل قوله فحتى متى أبقى ثم وحتى أرعى الكواكب، وهنا تظهر اشكالية البقاء ازاء حركة الزمن الدائبة التي تركت الشاعر في فراغ عاطفي وحيداً يواجه العزلة بعد رحيل أصدقائه. فالشاعر يراقب حركة الزمن وتغير الليل والنهار وكأنه قد أصبح معلقاً في هذه الحركة الدائبة دون ارادة منه، ولهذا تراه يتوجه بالتضرع الى الله طلباً للراحة والطمأنية[31]، وتململا من الحياة، وطول العمر، وقسوة العزلة والوحدة، فيقول:

فرُحْماكَ يا مولايَ دَعْوَةَ ضارعٍ يَمُدُّ إلى نُعْماكَ راحةَ راغبِ

فأسْمَعَني من وعظهِ كُلَّ عبرةٍ يتَرْجُمُها عنهُ لسانُ التجاربِ

إن النزعة الفلسفية التشاؤمية التي برزت بوضوح في هذا الخطاب الشعري تجسد تفسيراً لثنائية الحياة والموت أو الحضور والغياب والتي توصل اليها الشاعر من خلال اسقاطه لمشاعره الانسانية ومرارة تجربته على معلم من معالم الطبيعة التي تشهد التغيرات البيئية، وتخلد رغم تحولات الزمن وتقلباته، وهو أن الحياة هي مرحلة تنتهي إلى رحلة قاسية تتمثل بالموت والفناء والغياب، ولهذا قال الشاعر:

وقلتُ وقد نَكَّبتُ عنه لطِيَّةٍ سلامٌ فإنّا منْ مقيمٍ وذاهبِ

إن هذه النتيجة التي توصل اليها الشاعر في نهاية الأمر تشكل حقيقة الاستسلام لسنة الكون وطبيعة الحياة التي تتجسد فيها جدلية الموت والحياة أو الاقامة والرحيل. ولعل هذه النتيجة تمثل علاجاً نفسياً للشاعر بعد أن شهد ظروفاً من التقلب والتغير والارتفاع والانحطاط على صعيد الوضع العام في الاندلس وما أصاب الفرد الاندلسي أيضاً فيه من تشرد وعزلة ووحدة وعذاب ضمير ازاء ما آل إليه الوجود العربي في الأندلس. ولهذا فقد لجأ الشاعر إلى الطبيعة الصامتة التي

أحس من خلالها بالتغير وبالصراع بينه وبين الزمن من خلال ما يحدث عبره من تغير وتبدل في الطبيعة والانسان. ولهذا فإنه يمكن للمرءأن يلمس بوضوح نظرة الشاعر إلى الحياة من خلال النص حيث يبرز صراعه مع الحياة في مواجهة الموت في أسلوب قصصي[32]. إذ تتمثل فيه مناجاة النفس، بحيث يعكس هذا الجو بعداً رومانسياً واضحاً[33].

وأخيراً، يمكن القول بأن هذه النص قد جسد مشكلة الموت والحياة التي أضفى الشاعر عليها نزعة فلسفية تشاؤمية بأسلوب قصصي ابتعد فيه الشاعر عن الأسلوب التسجيلي، حيث وظف الشاعر أسلوب التكرار من خلال تكراره بعض المقاطع والحروف، فضلاً عن الايقاع والنغم الموسيقي الذي جاء به البحر الطويل بشكل خدم النص الشعري ومنحه الحيوية وقوة تتلاءم مع قوة الكلمة النبر الذي نقل مشاعر الشاعر ومواجهته لهذه الاشكالية الانسانية المتمثلة بثنائية الحياة والموت.

الهوامش

* نشر هذا البحث في مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية في الهيئة القومية للبحث العلمي في طرابلس – ليبيا 1998.

(1) الركابي، جودت: في الأدب الاندلسي، دار المعارف بمصر، ط4، القاهرة، 1960، ص-32.

(2) انظر، غومس، غارسيا: الشعر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، ط 3، القاهرة 1969، ص 44-54.

الدقاق، عمر: ملامح الشعر الأندلسي، دار الشروق، بيروت 1975، ص 14.

(3) الركابي، جودت: في الأدب الأندلسي: ص 47-48.

(4) عباس، احسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة ط 5، بيروت 1978، ص 130.

(5) المرجع نفسه، ص 126.

(6) المرجع نفس، 206.

انظر، الركابي، جودت: في الأدب الأندلسي، ص 106.

غومس، غارسيا: الشعر الأندلسي، ص 58-59.

(7) الدقاق، عمر: ملامح الشعر الأندلسي، ص 190-192.

انظر: الركابي، جودت: في الأدب الأندلسي، ص 106.

(8) انظر: صدوق، نور الدين: حدود النص الأدبي، دراسة في التنظير والابداع، دار الثقافة ط 1، الدار البيضاء، 1984، ص 11.

(9) انظر، فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة رقم 164، الكويت 1992، ص 229.

(10) يمنى العيد: في معرفة النص، دار الآفاق الجديد، ط 3، بيروت 1985، ص17.

(11) صدوق، نور الدين، حدود النص الأدبي، ص 28.

(12) ابن خفاجة، ابو اسحاق ابراهيم بن خفاجة، الديوان، تحقيق سيد غازي، منشأة المعارف بالاسكندرية، ط 2، 1979، ص 215-217.

(13) هوج الجنائب: رياح الجنوب الهوجاء، النجائب: مفردها نجيبة وهي الناقة الأصيلة.

(14) الغياهب: الظلمات.

(15) القتود: مفردها قتد، وهي أخشاب الرحل. الركائب: النوق.

(16) الدياجي: الظلمات. الترائب: عظام الصدر.

(17) الجيب: ما تحت فتحة العنق من الثوب. الأصلي: الأغبر ويريد به الأفق الذي اتضحت فيه ملامح الضوء.

(18) الأرعن: نعت للجبل المحذوف وهو الشديد النتوء. الباذخ: الشاهق. الغارب الظهر.

(19) أدلج: سار في الليل. وأدب آب: رجع. قال: القيولة وهي الاستراحة وقت الظهيرة. المطي: الحيوان من خيل وابل.

(20) ريح نكباء: شديدة عاصفة. المعاطف: الجوانب. الغوارب: مفردها غارب، وهو أعلى الشيء.

(21) النوى: البعد. النوائب: المصائب.

(22) الايك: الشجر المورق الملتف.الورق: الحمام.

(23) غيض الماء أو الدمع: ذهب به وحبسه. سلاه: نسيه.

(24) ظعن: سار وارتحل. آيب: راجع ، عائد.

(25) سرى: بدد الحزن وأبعد الغم والهم.

(26) الطية: الجهة أو الناحية البعيدة، وكذلك النية والقصد. نكب وتنكب: عدل وتنحى وأعرض.

(27) عباس، احسان: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ص 193.

(28) انظر. عبد الخالق، أحمد محمد: قلق الموت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة رقم 111، الكويت، 1987، ص 39.

(29) ابن خفاجة، الديوان، ص 64.

(30) عباس، احسان: تاريخ الشعر الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ص 209-220.

(31) الركابي، جودت، في الأدب الأندلسي، ص 108.

(32) السعيد، محمد مجيد: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد 1980، ص 138.

(33) الدقاق، عمر: ملامح الشعر الأندلسي، ص 252.

المصادروالمراجع

1- الركابي: جودت: في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر، ط4، القاهرة 1960.

2- ابن خفاجة: ابو اسحاق ابراهيم بن خفاجة: الديوان، تحقيق سيد غازي، منشأة المعارف بالاسكندرية، ط 2، 1979.

3- الدقاق، عمر: ملامح الشعر الأندلسي، دار الشروق، بيروت 1975 .

4- السعيد، محمد مجيد: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد 1980.

5- صدوق، نور الدين: حدود النص الأدبي، دراسة في التنظير والابداع، دار الثقافة، ط 5، بيروت 1978.

6- عباس، احسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، ط 5، بيروت 1978.

7- عبد الخالق ، أحمد محمد: قلق الموت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة رقم 111، الكويت 1987.

8- غومس، غارسيا: الشعر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، ط 3، القاهرة، 1969.

9- فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة رقم 164، الكويت 1992.

10- يمنى العيد: في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة، ط 3، بيروت 1985.



الفصل الثالث

النزعة الرومانسية في شعر عبد المنعم الرفاعي

الفصل الثالث

النزعة الرومانسية في شعر عبد المنعم الرفاعي

(1)

تمهيد:

الرومانسية نزعة ثقافية وثورة أدبية ظهرت في أوروبا بين نهاية القرن الثامن عشر ومنتصف القرن التاسع عشر[2]. وقد كانت النزعة الرومانسية "وليدة عصر محدد المعالم، إذ اقترن ظهورها – على الصعيد التاريخي والاجتماعي – بالمرحلة الثورية التي افتتحتها الثورة الفرنسية 1789، والتي كانت بمثابة اشارة البدء للتحرر من عدد من القيود في مختلف مجالات التنظيم الاجتماعي والاتجاه الأيدلوجي والقواعد السلوكية والأخلاقية والقيم الجمالية[3].

فالرومانسية حالة مقيمة في النفس، تعبر عن آلامها وأفراحها، وعن سكونها واضطرابها، كما تعبر عن موقفها ونظرتها من الحياة والوجود، فهي ابنة الحياة المباشرة، لا تصنع فيها ولا رياء[4].

ولم يمض النصف الأول من هذا القرن العشرين حتى تأثر الشعر العربي بهذا الاتجاه الثقافي الجديد الذي أصاب الحياة الأوروبية. فقد ظهر جيل جديد من المثقفين العرب الذين تثقفوا بالآداب الانجليزية والفرنسية وغيرهما من الآداب الأوروبية[5]. وقد برز من رواد هذا الجيل خليل مطران وعبد الرحمن شكري وعباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازني، وقد كان هؤلاء من أوائل الشعراء في العصر الحديث الذين تأثروا بالثقافة الأوروبية، وقد ظهر تأثرهم بهذه الثقافة في كتاباتهم النقدية أكثر منها في ابداعاتهم الشعرية[6]. ولذا، فإن من الطبيعي أن يستغرق الاتجاه الرومانسي الأوروبي شعراء هذا الجيل الذي تعمق في معرفة أدب الغرب وثقافته، فأعجبه هذا اللون وراح يتمسك به، لأنه وجد فيه المجال الرحب للتعبير عن مشاعره وخلجات نفسه، وكأنه ينبع من ذاته، حتى أصبح هذا اللون الجديد السمة الغالبة على الأعمال الابداعية عند شعراء هذا الجيل[7].

ولم يمر وقت طويل على وجود هذا التيار الأدبي الجديد على الساحة المصرية حتى انتقل الى شعراء آخرين في أقطار الوطن العربي المختلفة. ولذا فقد أصابت

هذه النزعة الرومانسية أدبنا الأردني وذلك عن طريق الصحف والمجلات الأدبية التي كانت تصدر في مصر، ولا سيما مجلة "أبلو" الشعرية. وقد كان معظم شعراء مصر آنذاك يتغنون بالحزن والألم وينصهرون في عالم الطبيعة الذي يجدون فيه الملاذ لينفثوا أحزانهم من خلاله[8]. وقد وجدت هذه النزعة صدى لها عند شعراء الأردن أمثال مصطفى وهبي التل الملقب بـ"عرار" وعبد المنعم الرفاعي.

ولا شك أن الاتجاهين الفكريين الواقعية والرومانسية، قد غلبا على شعراء الأردن وربما جمع شاعر، أو أكثر، بين هذين الاتجاهين. أما بشكل يظهر بعد الشقة بينهما، وأما بشكل جميل يشعرنا بوحدة الرؤيا التي صدر عنها الشعر[9].

ويلاحظ المتتبع لشعر عبد المنعم الرفاعي وجود ملامح رومانسية واضحة في شعره، وذلك على الرغم من معالجته للقضايا السياسية والاجتماعية السائدة في مجتمعه وفي أمته، ولا سيما أنه كان في منصب سياسي رفيع يتطلب منه النزوع إلى الواقعية اكثر من غيرها. غير أن الظروف الشخصية الصعبة التي سبقت تسلمه لمناصبه السياسسة الرفيعة قد كانت قوية وفاعلة ومؤثرة في رسم معالم شخصية الرفاعي وفي رسم معالم شعره أيضاً. كما أن العوامل السياسة التي سادت في المنطقة العربية من جراء الاستعمار البغيض للوطن العربي، وكذلك الاحتلال الصهيوني لفلسطين قد تركت أثراً كبيراً في شخصية الرفاعي وفي فنه أيضاً.

وقد كان لهذه الرواسب الهامة أثر قاس في حياة الرفاعي، مما جعلة يميل إلى العزلة والوحدة في سني حياته الأخيرة ليعيش وحيداً يلتمس أسباب الجمال والمتعة في هذه العزلة. وقد تزامن مع هذه العزلة والوحدة فقدانه لذويه، وأقربائه وأصدقائه، وكأن الموت قد أصبح هاجس الرفاعي في شعره، فأصبح فن الرثاء ديدن الشاعر وشغله الشاغل، فيبكي وحده، ويسير في دربه دونما صديق أو مؤنس، ومن هنا بدأت وحدة الرفاعي وعزلته عن الناس من حوله[10].

ولعل العامل الشخصي المتمثل في حبه الفاشل وقصة زواجه المأساوية قد كان لهما أثر كبير في تنامي وتفاعل النزعة الرومانسية في نفس الرفاعي وفنه، فضلاً عن ذلك فإن موت أصدقائه وأحبابه قد فرض عليه نوعاً من العزلة والوحدة في حياته.

يقول الرفاعي:

أصبحتُ وحدي لا يشاركني　　　خِلٌ وأنتَ الليلُ والسَّمَرُ[11]

ويقول كذلك:

وأناديكَ.فهلْ تسمعُني　　　أنا وحدي.... في طريقي ومسيري[12]

(2)

تبرز شخصية الشاعر عبد المنعم الرفاعي مجموعة من الظواهر: فهو سياسي يواجه الواقع الوطني العربي، وبخاصة موضوع القضية العربية الفلسطينية ونتائجها بنظرة واقعية، ومن ثم فهو شاعر يحس هذا الواقع المرير من خلال رؤياه الشعرية ونزعته الرومانسية، إذ يبدو وحيداً في مشاعره وأحساسيسه تجاه الواقع، فيبكي وحده ويقاسي مرارة الواقع وحده أيضاً. وطالما عبر الرفاعي عن هذه المشاعر في كل المواقف السياسية الحساسة التي كانت تشكل محور اهتمام الأمة العربية، فها هو في مؤتمر القمة العربية الذي انعقد في الخرطوم سنة 1967 يناشد الأمة العربية الوحدة، والنهوض، والكفاح من أجل مستقبلها وكرامتها. بيد أننا نلمس في هذه القصيدة الروح الرومانسية للشاعر، فيبدو جريحاً وحزيناً، يبكي على هموم أمته وأحزانها. يقول:

عربيٌّ الطيفِ لا يُلقي على وحدةِ العُرْبِ سوى ضافي الوشاح[13]

ويقول أيضاً في وصف القادة العرب المؤتمرين:

خرجوا والنصرُ في قاماتهم كالتماع البأسِ في سُمْرِ الرِّماحِ

وفؤادي كلَّما هَدْهَدْتَهُ هاجَ من دمعي وآجَرْىَ من جراحي

وطني انّاتُهُ في مسمعي بين أصداءِ نواحٍ وصياحِ

قد فَدَيْناهُ وعزٌّ المُفْتَدى فسقطنا شهداءً كلٌّ ساحِ[14]

ومثلما عاش الرفاعي حياة عاطفية غير مستقرة، ظل يشعر معها بالخواء العاطفي طيلة سني حياته، فقد أحب عدداً كثيراً من الفتيات، بيد أنه حاول دخول عالم المرأة ومعرفة كنهها روحاص لا جسداً، مما جعله يقدم على الزواج الذي انتهى بالفشل بعد مدة وجيزة، حيث بقي بعد ذلك وحيداً يقاسي مرارة الحياة مع ولده الوحيد. وقد أدى الزواج الفاشل به إلى العزلة، مما جعله يفرض على نفسه عزلة واقامة جبرية في منزله، لا يبرحه الا لرثاء صديق أو لا حياء مناسبة يستذكر من خلالها حبه وهمومه ومعاناته. فقد بدأ الرفاعي في حبه انساناً ضعيفاً لا يقوى على فعل شيء إزاء شبوب العاطفة وخفقان القلب.

وقد حمّل الرفاعي الطبيعة مشاعره وأحاسيسه، فتغنى بمظاهر الطبيعة الجميلة مستذكراً أيام أنسه مع أصدقائه وأحبابه. فتلونت الطبيعة بألوان نفس الرفاعي الحزينة تارة والمعذبة تارة أخرى. فطالما ذكر الرفاعي الموت في شعره وكأنه يعني به الخلاص من الواقع المرير الذي يعيشه أو أنه الوسيلة التي تقربة من ماضيه مع الأصدقاء والأحبة.

وفي ضوء ذلك، تتمثل النزعة الرومانسية في شعر الرفاعي في مجموعة من الموضوعات التالية:

1- المرأة:

لقد كانت المرأة في الشعر الانساني دائماً مصدر الجمال والتقديس والحب. وقد مرت المرأة في الشعر العربي بهذه المراحل المختلفة. كما وصلت مكانة المرأة جمالاً وتقدسياً: غايتها عند الشعراء الرومانسيين، فالمرأة عند الرومانسي هي معبد الجمال والقداسة والاحترام. ولم يتجاوز الحب عند عبد المنعم الرفاعي هذه النظرة الجمالية للمرأة. ولذا فإن طابع الحب الرومانسي أنه الحب لذات الحب، لا لشيء آخر[15]. وهذا ما فعله وعاشه الرفاعي فعلاً، فقد أحب لذات الحب، فأحب كثيراً من الفتيات، وتعددت المحبوبات في حياته، ولم يكن يرى في المرأة أكثر من مصدر

للحب والجمال. يقول: " أحببت أكثر من مرة .... وبعض هذا الحب، كان عنيفا، وتجاوز القيود المألوفة في مجتمعنا، وتكرر الحب، وتعدد الأحباب، وثبت بعد كل فشل، أنني كنت أحب لوجه الحب، لا لوجه الزواج[16].

وإن التكوين الجمالي للمرأة والهالة التي يراها الرومانسيون فيها كان موضع تعلق الرفاعي بمحبوبته. فقد تعددت القصائد التي عبر من خلالها عن حبه وضعفه إزاء المرأة. فالمرأة عند شاعرنا هي مصدر الجمال والتعالي بالنسبة إليه، فهو التابع اللاهث والضعيف والمقتول بسبب حبه لفتاته. يقول الرفاعي في قصيدة " النظارة السوداء ":

وتطوفُ بي أهدابُكِ الريَّا نَدىً ... باشعةٍ من سحرِكِ المتعالي

نظَّارتاكِ دعيهما كم في النَّوى ... عانيتُ دونكِ من سوادِ ليالي

غِبنا سَنَاكِ لما عرفتُ مع الدُّجى ... دنيا ولا أوْسَعْتُ من آمالي[17]

ويعبر الرفاعي في لوحة أخرى عن تعلقه ولهفة تجاه محبوبته، فهو يرى الزمن المتسارع وكأنه لحظات تمر وتتلاشى قبل أن يبل شوقه من محبوبته. فالشاعر حريص على لقاء فتاته، غير أن هذا الحرص الرومانسي من جانب واحد هو جانب الشاعر

وحده. فقد ركز الشاعر لذلك في أبياته على ضمير المتكلم "إني، وأعود، أخشى، أدراجي" . يقول الشاعر:

إنـي أتيتُـكِ والزمـانُ كأنّـهُ   في ناظريْـكِ اوائـلٌ وتـوالي

متلـهّفٌ للقـاكِ أخشـى تنتهـي   سـاعاتُ لُقيانـا بغـيرِ وصـالِ

وأعودُ أدراجي يُساجلني الهـوَىَ   ذكـرى النِّصـال تكسـرتْ بنصـالِ(18)

وتترى صور العاشق الضغيف في شعر الرفاعي، حيث نسمع صوته فقط في شعره، إذ لم نسمع أي صوت للمرأة في شعر الرفاعي، فالحب من طرف واحد، والمحبوبة في شعره تمثل مركز القوة والعلوية والصد، ولهذا فهي لا تشاركه أحاسيسه ومشاعره، فهو التابع والمعذب، يقول:

وَتَصُـدّينَ عـن المُسْـتَعْفِ

خِلَّـةَ الكِبْـر وَزَهْـوَ المُتْـرَفِ

وأناديـكِ علـى وَجْـدٍ خَفـي

فتردّيـنَ بطـرْفٍ قلِـقِ(19)

دار جرير للنشر والتوزيع

وقد حاول الرفاعي أن يتخلص من عذاب الحب وبعد المحبوبة وصدها عنه بالزواج، بيد أنه – وعلى عادة الشعراء القدماء – قد فقد زوجته بسبب الوشاة والحساد. وإن محاولة الرفاعي الزواج هذه المرة بعد سلسلة من الحب والصد والعذاب مع فتياته، تأتي لتجسيد علاقة جديدة مع المرأة هي العلاقة الزوجية التي تقوم على الحب والوفاء والديمومة، غير أن هذا الزواج قد انتهى بسرعة مخلفاً مأساة قاسية تركت بصماتها على حياة الرفاعي الخاصة وعلى شعره. يقول:

وافترقنا وباعدَ الوصلَ عنا   هَذرُ الناسِ وافتراءُ الحسودِ

وَمَضتْ دربَهَا وسرتُ بدربي   والنّوى يتنشي على التجديد[20]

وقد امتدت النزعة الرومانسية عند الرفاعي إلى أدائه الشعري، فقد أثرت نفسيته الحزينة في طبيعة أسلوبه الشعري من ناحية الألفاظ وأساليب التعبير. لذا أكثر الشاعر من أسلوب الاستفهام الذي يعكس حالة القلق والتوتر والحيرة عنده. فقد استعمل الشاعر أدوات مختلفة من أسلوب الاستفهام، مثل: أين، لم. إن هذا التوظيف لأدوات الاستفهام يبرز حالة المعاناة التي يعانيها الشاعر من طرف عليها. فهو يتساءل القلق الخائف على فتاته من عوادي الزمن وبريقه.

يقول:

أيـنَ يَمَّمـتِ والطريـقُ مَخـوفٌ ولياليـكِ فيـه سـودٌ بسـودِ

تسـتبيكِ الـبروقُ مُؤْتلفـاتٍ خُلَّـبِ الوَسْـمِ كاذبـاتِ الوعـودِ

لهف نفسي عليك جرحك الشوك وأدمـى الهجـير رطـب الخـدود

كنـتُ عَوَّدتِـكِ الحنـانَ قـديماً مـا على القلـبِ لـو حَنَـا مـن جديـد

هل تَجنّيتُ؟ عَلَّني ....غير أنّي كنـتُ أوْلَـى لـديكِ بالتضْـميدِ

لِـمَ لَـمْ تسـقني حَنَانَـكِ صِـرْفا وَتَشُـدّي مـن عَزْمـيَ المكـدُودِ[21]

إن الشاعر الرومانسي يعيش دوماً حالة من الصراع والعذاب النفسي ومحاسبة الضمير. فعلى الرغم من القاء شاعرنا اللوم في فشل حياته الزوجية على الحساد والوشاة، غير أنه يعود ليلقي بالذنب على نفسه. فالشاعر هنا معذب ومحبط، بينما المرأة تحاول دائماً أن تعذب فتاها وتزيد من قهره واحباطه، فهذه المرأة لا تذنب ولا تخطئ بينما هو مذنب ومخطئ، وسريع الاعتراف بذنبه. ولعل مخاطبته

اياها هنا تنم عن هذا الشعور، الذي يفجره أداة الاستفهام التي تظهر حالة الاحباط واليأس التي أصابته. يقول:

فهبيني أفْرَغْتُ أقداحَ ذنبي لِمَ أترعْتِ كأسَها بالمزيدِ؟[22]

لقد بقيت علاقة الرفاعي مع زوجته أو حتى مع محبوباته تقوم على العتاب والشكوى، فها هو يطرح السؤال تلو الآخر على زوجته التي لم تلق بالا لحبهما أو لعلاقتهما، فقد أخذ الشاعر يعاتب زوجته مستحضراً الزمن الماضي وما فيه من حب وتعلق وشوق، متسائلاً عن حالة الزمن الحاضر وما فيه من جفوة وبعاد. ولذا، فقد أصبح أسلوب الاستفهام في معظم قصائد الشاعر بؤرة مركزية تنفجر الأحاسيس والمشاعر والمعاناة من خلالها، فها هو يسأل عن مكان محبوبته وبعدها عنه، ثم يتساءل عن الزمن الماضي الجميل الذي لم تلتفت إليه زوجته. يقول:

أين يممتِ ما سألت هوانا فهو ما زالَ عند عهدٍ عهيدِ

ما سألتِ السنينَ مزدهراتٍ بالمصابيحِ من عُلَىً وسعودِ

ما سألت الوفاءَ والحبَّ والعطفَ وطبعَ النَّدى وفَيْضَ الجُودِ[23]

لقد كان الحب عند الرفاعي ينم عن نزعة رومانسية تجاه المرأة. فقد بدا الرفاعي رومانسيا هائماً رقيق المشاعر، صادق الوصال والعاطفة، وفيا للعهد مع محبوبته. بيد أنه كان فاشلاً في حبه الذي لم يدم طويلاً مع محبوبته أو حتى مع زوجته، بل لقد أسمعنا الشاعر في ثنايا شعره صوته الحزين الذي يعبر عن حالة الخواء العاطفي التي عاشها الشاعر. وقد أثرت حالة الشاعر هذه في أسلوب أدائه الشعري، مما جعله ينقل حيرته وقلقه إلى تراكيب شعره وألفاظه، فها هو يكثر من أسلوب الاستفهام الذي يشكل سمة لمعظم قصائده، وما لهذا الأسلوب من دلالة على حالة القلق والتساؤل والاحباط. ولعل حالات الحب للمرأة في شعره إنما تنم عن مشاعر رومانسية، إذ إن الحب في شعر الرومانسيين وفي حياتهم لم يكن أكثر من الحب لذات الحب، لا لشيء آخر[24]، وهذا ما عبر عنه عبد المنعم الرفاعي صراحة[25].

2- الطبيعة:

لقد وجد الرومانسيون في الطبيعة متعتهم وملاذهم ومكان خلوتهم وعزلتهم وهدوئهم[26]. ولذا فإن الطبيعة بمظاهرها المختلفة من ليل ونجوم وأنهار وزهور وحقول ورياض ومياه وجداول موضع اهتمام الرومانسي، حيث يجد فيها العزاء، فتشطح مخيلته شطحات رومانسية كلها صفاء ورقة وعذوبة، مما يخفف عنه عناء

الدنيا وقسوتها، فالطبيعة عند الرومانسي هي ينبوع الشعر الحق ومصدر الحياة الخلقية الصحيحة[27].

كما أن الطبيعة عند الرومانسي تمنحه القدرة على التأمل في هذا الوجود وفي هذه الحياة، وتعطي خياله الفرصة ليحلق في هذا العالم المحيط به، فيحرك ذلك في ذهن الرومانسي الأسباب التي تجعله يخلق الصور الشعرية البديعة، التي يولدها خياله الواسع[28]. فالطبيعة مصدر الهام للشعراء، كما هي مصدر خلق، وحضن أم رؤوم تعطي الرومانسي الهدوء والحب والطمأنينة والحنان. وربما يكون عشق الرومانسيين للجمال النقي هو الدافع وراء تركهم المدينة ولجوئهم إلى الطبيعة بمظاهرها الجميلة.

وقد أصبحت مظاهر الطبيعة كلها تعكس الحالة النفسية للشاعر عبد المنعم الرفاعي، فها هي صورة الجدول تثير في خاطره بقايا صور من صور الحب بعيداً في نفس الرفاعي وحركت خياله الواسع ليستعيد من خلاله صور الماضي الجميلة. فحركة الجدول وجريانه تشبه تلك الحالات التي كان يعانق فيها الشاعر محبوبته، وربما تكون هذه المعانقة من محض الخيال، غير أنها أثارت عواطف الشاعر، فأصبحت كل مظاهر الطبيعة صورة لنفسه. يقول:

أو ليتني أهوي الى جدولٍ حيثُ الرضى بعضُ كفافٍ زهيدْ

أرتشفُ القطرةَ لا أرتوي وَرُبَّ صادٍ لا يرومُ المزيدْ

أسأله عن شأنِهِ مالَهُ عافَ الرُّبَى واختارَ ذاكَ الصعيدْ

آهٍ على همسِ الجَوَى حولَهُ وقبلةٍ تُحْيَا وأخرى تبيدُ

وساعد يَقْوَى على ساعد والتفَّ خصرانِ وجيدٌ بجيدْ

خواطرُ يا نيلُ أيقظتها ماذا رَجْعِ الصَّدى لو يُعيدْ[29]

وأخذ الشاعر الرومانسي يخاطب مظاهر الطبيعة وكأنها جزء من مجتمعه الانساني، ولذا فقد خاطب الرفاعي "شط العرب" مخاطبة إنسانية، حيث أصبح هذا المكان مبعث ذكريات الشاعر مع محبوبته، ولهذا فقد أخذ يرجوه أن يرأف بفؤاده المكلوم، وأن يخفف من تحريك شجونه وخواطره وذكرياته مع محبوبته. يقول:

أيها الشطُّ رأفةً بفؤادي فهو أوْهَى من نسمةِ الأسحارِ

مـا لَـهُ كلمـا وَهَـى منـهُ لحـنٌ عـادَ يَقْـوَى مـن مَيِّـتِ الأوتـارِ

لـيس يُجْـدي البعـادُ فيـه فتـيلاً فهـوَ مـا انفـكَّ طُعْمَـةَ الأشـعارِ

ما الذي شاعَ في الضِّفافِ فَأَذْكَى صَبْوَتي والهَوَى وَحُلْوَ ادِّكَاري[30]

وقد انصهر الشاعر تماماً مع مكونات الطبيعة، حيث أصبح جزءاً منها، تبكي لبكائه، وتحزن لحزنه، فها هي البلابل تنوح وتحزن مشاركة الشاعر مشاعره وأحزانه، بل إن النجوم أصبحت تحس باحساس الشاعر. ولذا فإن الشاعر الرومانسي قد التحم مع الطبيعة وانسلخ عن عالم المدينة المضطربة، وكأنه قد انسلخ عن إنسانية الانسان إلى إنسان الطبيعة، حيث بثها الرومانسيون مشاعرهم وأحاسيسهم، وقد صوروها مشاركاً لهم في أحزانهم وآلامهم، فهم ليسوا وحدهم، بل أنهم جزء من عالم واسع يتكون من كل مظاهر الطبيعة التي تشاركهم همومهم بصدق وصفاء. يقول الرفاعي:

بلابل الروضِ كم ناحتْ على شجني، وكم تغامَزَ حولي النجمُ والسَهرُ[31]

ووجد الشاعر في الطبيعة متنفساً له، يجلس في أحضانها ويشارك طيورها الشدو ونشوة الفرح، كما يجد فيها مع المعذبين والحزانى ملاذاً يلجئون إليها، ليتخلصوا

من قسوة الحياة وعبودية الإنسان والمادة. فصورة البحر والشاطئ ووقت الأصيل تثير في نفس الشاعر مشاعر الحب والود والهدوء، وتحرك خياله. فقد رسم لنا الرفاعي هنا لوحة تضم بعض مكونات الطبيعة الجميلة، تلك اللوحة التي ربط صورها المتعددة بحرف العطف "الواو" فأصبحت حكاية متسلسلة، إذ رسم لحظة الخروج إلى الطبيعة، بحيث أصبح لحرف العطف هنا وظيفة أسلوبية جميلة في ربط مشاهد رحلته لتجعل منها صورة حركية واحدة. ويقول:

وخَرجنا مع الأصائلِ للبحرِ ... على الشاطئ الرخيّ الوئيدِ

وَشَدَوْنا مع البلابلِ صُبْحاً ... واعَرْنا الطيورَ حُلْوَ النشيدِ

ونَزَلْنا المروجَ والقممَ الخُضْرَ ... إلى المرتقى القصيّ البعيدِ

وَجَلَسْنا مع الحَزَانى نُداري ... من جراحِ الأذى وَذُلّ العبيدِ[32]

ويبدو أن تعلق الرفاعي بالطبيعة قد جعله يشخص البحر والبر وكل مكونات الطبيعة، فقد جعل البحر إنساناً يشاركه همومه وآماله، فتراه يسأل البحر والبر عن الموج والزهور ومصارع الشهداء. وقد أظهر نزوع الشاعر إلى أسلوب التكرار في بداية لوحته الشعرية مدى تعلق الشاعر بالطبيعة ومحاولة كشف مكنوناتها، فنراه

يكثر من الفعل "فاسأل، واسأل" في تكرار يوحي بمدى أنسنة الطبيعة عنده، فقد أصبحت جزءاً انسانياً يثق بها ويبادلها الحب والود. يقول:

فاسأل الجوَّ هل به غيرُ عَبْقٍ   من خزامى جنّاتها الزّهراءِ

واسأل البحرَ هل به غيرُ موجٍ   عربيٍّ من شاطئ الفيحاء

واسأل البَر هل به غيرُ تُرْبٍ   جَبَلَتْهُ مصارعُ الشهداءِ[33]

وتعلق الرومانسيون كذلك بالليل لما فيه من هدوء وسكون، فبثوا فيه أحزانهم وناجوا خلانهم. فالليل عند الرومانسيين يوحي بالانطلاق والتحرر من عنت النهار[34]، وكذلك يرى الرومانسيون فيه رحابا من الأجواء الخرساء المؤنسة التي تساعد على التفكير وصفاء الذهن، ويعطي للخيال مجالاً واسعاً للتحليق، فيبعد القريب أو يقرب البعيد، كما أن الليل مستودع الأسرار، ومثار الأحلام[35]. إضافة لذلك، فالليل ليس صورة للموت والظلام عند الرومانسيين بل صورة للصفاء والانطلاق وتحقيق المستحيلات، وامتداد الخيال، وايقاظ المشاعر[36].

ولذا نرى الرفاعي يجسد هذه الصورة بقوله:

أغنّي بك الليلَ وحدي على حفيفٍ من الشوقِ مُستعذبِ

كأنَّ ظنوني وقد حلّقت حقائق عن غدِيَ المختبي[37]

3- العزلة والوحدة:

تعد العزلة والوحدة مظهراً من مظاهر الرومانسية. فالشاعر الرومانسي يحب العيش بعيداً عن مجتمع التناقضات في المدينة، كما يحب الهروب إلى أحضان الطبيعة حيث العزلة الذاتية والاندماج مع مجتمع جديد من مكونات الطبيعة، إذ يحاول الشاعر أن يبني مجتمعاً إنسانياً جديداً بعيداً عن مجتمع المدينة، فيعمل على أنسنة الطبيعة ومكوناتها من طيور وحيوانات ونباتات، فيعيش ويتفاعل معها تفاعلاً إنسانياً عجيباً. إذ يرى المرء الشاعر الرومانسي يبكي وتبكي معه البلابل والطيور المختلفة، كما تشاركه عناصر الطبيعة فرحه وبهجته وأحلامه.

"فالرومانتيكي غريب في عصره وأحساسه "[38]. ولذا فالرومانسيون يميلون إلى العزلة ويستمرئونها[39]. فهم يجدون في عزلتهم الفرصة السانحة للتفكير والتأمل في هذا الكون، وفي هذا الوجود من حولهم. ونتيجة لهذه العزلة فإننا نجد الرومانسي منطوياً على نفسه، يضيق ذرعاً بعالم الحقيقة، "فيطلق لنفسه العنان في أحلام يعوض

بها ما فقده في عالم الناس من حوله، ووجد في هـذا الانطـلاق إشـباعاً لآمالـه غـير المحدودة، فصار عالم خياله أحب إليه من عالم الحقيقة المحدودة"[40].

ويعد الشاعر الرفاعي واحداً من هؤلاء الشعراء الرومانسيين، إذ تتمثل العزلة والوحدة تمثلاً واضحاً في شعره وفي سيرة حياته الشخصـية. فقـد كـان لقصـة حبـه وزواجه الفاشل أثر نفسي قاس في حياته، مما جعله يلزم بيته في كثير مـن الأحيـان، ويفرض على نفسه العزلة الطوعية. فضلاً عن ذلك، فقـد تركـت السياسـة العربيـة المتخطبة في نفس الرفاعي السياسي ردة فعل قاسية جعلته لفترة طويلة ملازماً بيته، بعيداً عن أضواء السياسة. ولطالما عبر الرفاعي من خـلال شـعره عـن اسـتيائه مـن حالة العرب وسياستهم تجاه مختلف القضايا الوطنية والقومية.

وقد انعكست مظاهر العزلة والوحدة في شعره أيما انعكاس، إذ كان للأسباب العائلية التي عانى منها الرفاعي طيلة سني حياته أثرها في حياته وشخصيته، وقد عبر شاعرنا بمرارة عن براءته من أسباب فشـله في علاقتـه الزوجيـة، ولهـذا نـراه يقـول متسائلاً:

هـل تجنيـت؟ علـي... غـير أنـي كنـت أولى لـديك بالتضـميد

لَمْ لَـمْ تَسقني حَنَانكِ صِرْفاً ... وَتَشُدّي مِن عَزْمِي المكدُودِ

فَهبيني أفْرَغتُ أقداحَ ذنبي ... لمَ أترعتِ كأسَها بالمزيدِ؟

أينَ يَمَّمْتِ ما سألتِ هوانَا ... فهو مازالَ عند عهد عهيدِ

ما سألتِ الوفاءَ والحبَ والعطفَ ... وطبعَ النَّدى وفيْضَ الجودِ(41)

وقد بدا في هذه اللوحة عمق المرارة التي عانى منها الشاعر من جراء القطيعة بينه وبين زوجته، ولهذا نراه يقدم لوحة عتابية فيها لمحات من الماضي الجيمل الذي تخلت عنه الزوجة فيه. وقد انتقل هذا الأسى إلى لغته الشعرية وأسلوبه، فها هو يستعمل علامات الاستفهام المختلفة مثل: هل، لم، اين، ما، وكل هذه الاشارات تظهر حالة القلق حول مستقبله بعيداً عن زوجته التي تنكرت لأيام الود بينهما، وها هو يسأل نفسه محاوراً بقوله: " هل تجنيت؟ علني" ، كما يسأل عن مكانها الجديد، حيث بدا من خلال علامات الاستفهام هنا أنه يربط بين الزمان والمكان، فهذه العلامات الاستفهامية تركز على الماضي وتسأل عنه، كما تشير إلى المكان، بقول الشاعر: " أين يممت". لذا فإن هذه اللوحة

الشعرية تعكس حالة العزلة الحقيقة للشاعر وحالة المصير الذي ينتظره بعيداً عن زوجته.

وقد عبر الرفاعي عن وحدته وعزلته في أكثر من قصيدة في ديوانه، ولعل عزلته مع ابنه التي جاءت نتيجة لانفكاك علاقته الزوجية قد تركت أثراً بالغاً في نفسه، إذ فقد الرفاعي زوجته، ولم يقترن بعدها بزوجة أخرى، مما جعله يعيش وحيداً، ولم يعد له ما يخفف عنه الفراغ العاطفي الذي أصابه. يقول:

كنتِ عَوَّدتِه الجناحَ فألفى	سائلاً عن جناحكِ المفقودِ
فادراي شكواهُ اصطنعُ اللّهوَ	فيرنو بطَرْفِهِ المعمودِ
في غد تورقُ الغصونُ فأروي	عن شبابي وقصّتي لوحيدي
في غدٍ تسمعُ الملائكُ هَمْسَيْنا	وحيدينِ: والدٍ ووليدِ[42]

وفي قصيدة أخرى بعنوان "خُضَر" عبر فيها الشاعر عن مرارة الوحدة والعزلة التي يعيشها، كما أبدى سأمه وضجره من هذه العزلة القاسية التي فرضها على نفسه ولم يعد بعدها قادراً على الخروج منها بشكل نهائي. يقول:

قفي أحَدّثكِ كيفَ الحبُّ فارقني فما الاقيهِ إلا وهو يعتذر...!

غنّت بأيامي الشكوى هوىً وأنا أبيتُ وحدي لا عودٌ ولا وَترُ...[43]

وقد عبر كذلك عن قسوة، ومرارة الوحدة في قصيدة له بعنوان " عُمَر "، فقال:

أصبحتُ وحدي لا يُشاركني خلٌ وأنتَ الليلُ والسَّمَرُ

ومشيتُ وحدي. رُبَّ معضلةٍ أرخَى دُجاها المَسْلكُ الوَعِرُ[44]

وقد تنامت العزلة عند الرفاعي بفعل عوامل أخرى لا تقل أثراً عن فشله في حياته الزوجية. تلك العوامل تتمثل في نزعته الانسانية التي تكونت عبر رحيل أصدقائه وخلانه وذويه من بعده. فنراه يعبر عن فقدان أخيه "سمير" بقوله:

أنا أنكرتُ وجودي إذ هَوَىَ بين عينيْ شقيقي وسميري

ألحْرى سُنَّةَ الخَلْقِ فلا أجدُ المعنى لذاتي وغروري

صَدعَ الشكُّ يقيني فالتقى حائرٌ بين لساني وضميري....

يا شفيقَ الروحِ قد عشنا معاً لِمَ لا نمضي معاً نحو القُبورِ؟!

وأناديكَ.... فهَلْ تَسْمَعُني؟ أنا وَحْدي..... في طريقي ومسيري[45]

وقد بلغ الأسى والحزن في نفس الرفاعي مداه بفقدانه لشقيقه، حيث انعكس هذا الألم والاستياء من معنى الوجود على لغته وأسلوبه في التعبير، فقد ركز الرفاعي على ضمير المتكلم مثل قوله: أنا، أنكرت ، أتحرى، وأناديك، كما أضاف إلى ذلك مجموعة من علامات الاستفهام، فضلاً عن الألفاظ التالية: وجودي، وحدي، حائر، التي تظهر عمق المأساة في شعوره بالوحدة بعد رحيل شقيقه. فقد أصبح يخاطب نفسه، ويتساءل في حيرة عن سر وجوده ومعنى حياته، بل لقد أصبح يتمنى لو رحل مع أخيه إلى الدار الآخرة، حيث سئم الشاعر من حياة الوحدة التي ركز عليها بعبارته المتكررة: "أنا وحدي"، التي تعكس مدى قسوة هذه الوحدة التي أصبح الشاعر يعيشها في كل لحظات حياته، كما أصبح يبكي وحده دون مشاركة من أحد في همومه واحزانه. يقول:

أبكي لوحدي. فحتى دَمْعَي فَقَدتْ من طولِ غُربتها خِلاً ومصطَحبا[46]

ولم تكن العزلة العائلية أقل قسوة على الرفاعي من السياسة، فقد تركت هموم الأمة العربية وما لحقها من آلام ومصائب من جراء نكسة حزيران عام 1967 أثراً بالغاً في نفس الشاعر. إذ أحس الشاعر الرفاعي كونه رجل سياسة ودولة بأنه أكثر إدراكاً من غيره لأبعاد المخاطر المحدقة بالأمة، فأصبح وحيداً في معايشة هذه الهموم وتلك الأحزان، مما جعله في عزلة قاسية فرضها عليه الوضع العام المحيط بالأمة، فأصبح غير قادر على التكيف مع النفاق وعدم الجدية في رؤية الأحداث والمخاطر على حقيقتها، لذا نراه يصرخ متألماً من هذا التهاوي والضعف الذي أصاب الأمة تجاه أرضها ومقدساتها، يقول:

لستَ من عُمْري فأيَّامي التي ... شدَّتها للنُّورِ تاهَتْ في الدُّخانِ

غَفْوة العشرينَ كم أيقظْتُها ... بالصَّدى الدّاوي وشِعْري وبَيَاني

أذرفُ الدَّمع وجَفْني كُلّما ... ملأ الدَّمْعُ حواشيهِ سَقَاني

وأمدُّ السَّمْعَ في الأفقِ فما ... غيرَ همسٍ وبَقايا عُنفوانِ

وظلالٍ ذابلاتٍ حولَنا ... مِن شَذى القدسِ وربا عَسقَلانِ

والتُّقى في المسجِدِ الأقصى خَبَا ... فإذا التنزيلُ يَرثي للأذانِ

وشكاةٍ باحَت البَلوى بها ... بَينَ أشباهِ خيامٍ ومَباني

وأنا وَحْدي أداري في الدُّجَى ... ثورةً شماء تَدوي في كياني

ويقول أيضاً:

يَرزحُ التاريخُ حولي مُطرِقاً ... من رُؤى الذلةِ في كُلِّ مكانِ

فإذا النَّصْرُ مُشيحٌ طَرْفَهُ ... وكأنَّ الفتحَ لم يَبْرحْ ثواني[47]

4- الموت:

لقد بدأت حياة عبد المنعم الرفاعي بسلسلة من المتاعب والمعاناة سواء أكان ذلك على صعيد الحياة الزوجية أو على صعيد الحياة الخاصة. فقد أصبح الموت هاجس الرفاعي وشغله الشاغل في حياته. حيث تساقط أصحابه وخلانه واحداً تلو الآخر مخلفين له مأساة حقيقة، مما حدا به إلى الاعتزال والوحدة في بيته. فلم تكن المأساة الزوجية سبباً وحيداً للاعتزال والوحدة، بل كانت قضية موت ذويه وأصدقائه من أحد الأسباب المؤثرة في حياة الرفاعي.

فقد شكل الموت ظاهرة بارزة في شعر الرومانسيين. فالموت في شعر الرفاعي يتزامن مع قضية الوحدة والاعتزال، بيد أن ظاهرة الموت أو الحزن في شعر الرفاعي تجسد في حقيقتها رغبته بالتمسك بالحياة والخلود. فالدموع ووداع الأصدقاء ورحيلهم إلى الدار الآخرة شكل صعوبة في حياة الرفاعي المتعبة. فالموت يعبر عن حالة الصراع النفسي بين الفناء واللارجعة، وبين الحياة واستمرارية الوجود. كما أن لجوء الشاعر إلى الحديث عن الموت والتفجع على رحيل الأصدقاء يعكس حالة الخواء العاطفي التي أصابت الرفاعي والتي أصبحت سمة بارزة المعالم في حياته. فالرومانسي يعيش حالة صراع حقيقي بين الموت الذي يمثل قوة تدميرية في حياته[48]، والتمسك بالحياة التي تمثل اشراقة الأمل والحب، ودوام الحلم والوجود. وقد برزت نزعة الحزن والخوف من الموت في قصيدة كتبها الشاعر بمناسبة رحيل والده إلى الرفيق الأعلى، حيث تظهر فيها أنّه الحزن قوية، والقلق من الموت أكثر وضوحاً، يقول:

يا أبي كفكفتَ من دمعي زماناً آن أن أجريهِ في يومك آنا....

الصباح الجَوْنُ لما أشرقتْ شمسه ألقتْ على الكون دخانا

جِئتُك الصبح كما عوَّدتني ألثُمُ الكفَّ واشتاقُ الحنانا

لم أجِدْ إلا جَلالاً ساجياً غضَّ من طَرْفي وأعياني بيانا

فعبدتُ اللهَ في الموتِ الذي ضَمَّني نحوكَ صَدْراً وجنَانا

وتلاشيتُ دموعاً وأسىً فوقَ آهاتٍ وأنّاتٍ حَزَانى(49)

وتتصاعد نغمة الحزن والشعور بعبثية الحياة والوجود في قصيدة يرثي فيها والدته، حيث يلمس المرء فلسفة تشاؤمية تعكس حالة اليأس وانعدام مغزى الحياة والوجود في ذهن الشاعر. إذ نراه هنا يتساءل عن سر هذه الحركة العجيبة والايقاع المتسارع للحياة، حيث تولد الأشياء وتنو ثم لا تلبث أن تتلاشى دونما عودة من جديد. فالشاعر يعبر عن اللاارادية في الحياة، حيث يخلق ويموت بغير إرادته. يقول:

أمضيتِ راحلةً... وبي لهَفٌ وعلى حنانكِ كان مُعْتَمَدي

في سُنّةِ التكوينِ فلسفةٌ تَعْيى على فدٍّ ومُجْتَهِدِ

نأتي الحياةَ بغيرِ إمْرَتِنا ونُقيمُ الدنيا الى أمَدِ....؟!

نحيـا ونفنَـى دون مـا سـبب ... مـا ضَـرٌ لم نُولَـدْ ولم نَلِـدِ!

لِـمَ تُوجَـدُ الأشـياءُ مـن عَـدَمٍ ... كـيْ تنتهـي لزوالهـا الأبـدي؟![50]

إن حالة الخواء العاطفي ورحيل الأصدقاء والأهل قد جعلت الشاعر يتمنى الرحيل معهم، لا من أجل الموت بل من أجل استمرار الحياة والألفة والصحبة مع خلانه، وهذا يعكس التمسك بالناس والحياة، بل أنه يجد في عيشه دون أصدقاء أو أحبة الموت الحقيقي بعينه. يقول:

ياشـفيقَ الـروحِ عشْـنا معـاً ... لِـمَ لا نمْضـي معاً نحـو القبورِ؟![51]

ويعبر في مكان آخر عن هذه الفكرة بشكل واضح، حيث يتمنى اللحاق بأمه المرتحلة إلى الرفيق الأعلى كي يقيم معها في جنات النعيم، فالشاعر مصر على مقاومة الموت والرغبة في البقاء مع أصدقائه وذويه. يقول:

وهنـاكَ في الخُلِـدْ افسـحي نُـزُلاً ... وتـرقبيني عنـده نجِـدي...[52]

إذن، كان لظاهرة الموت أثر بارز في حياته، حيث تمثل الخواء العاطفي الذي طالما عانى منه الشاعر، وقد زاد في ذلك قسوة رحيل الاصدقاء عنه، فأصبح وحيداً

في حياته، وهذا يعني الموت الحقيقي للشاعر، حيث أصبحت حياته سلسلة من المآسي والأحزان، فقد رثى معظم أصدقائه حتى كاد أن يرثي نفسه. يقول:

لا أمسحُ الدمعَ السخين لراحلٍ إلا لأذرِفَ دمعةً للتالي...!

حتى غدوتُ لطولِ ما نَظمَ الأسى آرثي على النَّبأ المروّع.حالي..[53]

وقد امتدت ظاهرة الموت في حياة الرفاعي إلى أدائه الشعري. حيث أثرت في البنية الأسلوبية لقصائده، فقد برز موضوع تكرار أسلوب الاستفهام في قصيدة له رثى فيها الأخطل الصغير، حيث تنامى فيها البعد الأسلوبي مع تفاعل المأساة في نفس الرفاعي. يقول:

أسْدَلَت حولَهُ الخيامُ ستوراً كي يعيش الحياةَ في اكفَانهْ

أين منهُ الرُّبى وكنٌ من الجدِ هضابا تُشدُّ من أركانِهْ

أينَ منه السهولُ كالأملِ الأخضر في غضهِ وفي ريّانهْ

أين شَطٌ كزغرداتِ العذارى أو هديلِ الحمامِ في ألوانهْ

أينَ وادٍ مشتْ إليهِ الليالي فاستعارتْ أمانها من أمانهْ

أيــن كــرْمٌ وتينــةٌ زرَعَتْهَــا كَفُّــهُ أمــسِ في ثَــرَى بســتانِهْ

أيــنَ مهــدٌ ومرتــعٌ ومَقيــلٌ وهَــزَارٌ شــادٍ علــى أغصــانهْ(54)

إن تكرار أسلوب الاستفهام "أين" في هذه اللوحة الشعرية يعكس عمق الحزن والمصيبة التي أحس بها الشاعر تجاه صاحبه الفقيد. وقد ارتبط أسلوب الاستفهام هنا بالتعبير عن المكان الذي ارتبط به الفقيد. فقد أخذ الرفاعي باستدعاء صور من الماضي، وكأنه يحكي لنا سيرة حياة الفقيد. وتصور هذه اللوحة الماضي الجميل والطبيعة الخلابة، وكذلك الحالة الراهنة المتمثلة بالموت من طفولة وشباب وآمال. لذا فإن توظيف صيغة السؤال "أين" هنا تجسد حالة القلق حول المكان والزمان معاً، فهي تعكس موازنة بين الماضي والحاضر، أي بين الماضي الجميل الوداع الباسم والحاضر المأساوي الذي غادر فيه صاحبه.

وقد أكثر الشاعر من أسلوب التكرار أيضاً الذي يجسد محور اهتمام الشاعر وهاجسه، فقد كرر الشاعر الفعل "قضى" عدة مرات في لوحة واحدة؛ لأنه يجسد حالة الموت والنهاية التي يخشاها الرومانسيون ويهربون منها. يقول الرفاعي في رثاء "جمال عبد الناصر":

قضَى جمال ودوَّتْ في المدى وسرتْ فــالجوُّ مــن زفــراتِ الهــولِ مُنفطِــرُ

قضى جمال. وغُصَّ النيلُ وارتجفتْ أمواجــهُ واشــرأبَّ الــوردُ والصــدرُ

قضى جمال. ونــاحَ السَّدُ وانتحبــت علـى صَـدَى نوحـهِ الأهـرامُ والعصـرُ

قضى جمال. وماجَ الشعبُ في هلعٍ ... كالبحرِ مصطخباً والسّيلُ ينحدرُ[55]

فالتكرار هنا يشكل طاقة تفجيرية أسلوبية تكمن في الفعل "قضى" وهو فعل ماض، يجسد صورة الموت الأبدية التي يقاومها الشاعر، الذي يحرص على التمسك بالحياة. فالموت يشكل النهاية للآمال والأماني، ولذا فقد كرر الرفاعي في سياق النص الشعري الفعل "قضى" الذي يصور الماضي المندثر، كما يصور القوة التدميرية للحياة الوادعة الحالمة، ولهذا فقد جسد الشاعر بالمقابل حالة الهلع والهول والفجيعة والنهاية التي تمخضت عن الموت والانقضاء الأبدي، وهذا يعكس حب الشاعر وتمسكه بأسباب الحياة.

5- النزعة الاجتماعية:

لقد كان الرومانسيون رغم شعورهم بالوحدة والعزلة في مجتمعهم شديدي التعاطف والاحساس مع البؤساء والضعفاء والمشردين[56]. وقد كان الرفاعي شديد التعاطف مع المشردين واللاجئين من أبناء الشعب الفلسطيني ولا سيما أن هذا التعاطف نابع من حس الرفاعي الرومانسي إزاء أهله وأبناء شعبه، وكذلك من خلال مكانة الرفاعي السياسية التي تفرض عليه الشعور العميق مع المشردين وحالتهم القاسية، يقول:

عاطيْتُكِ الزفراتِ ملهبةً ... وشربتُ كأسكِ في النّوى مُرّا

وخضعتُ عند ثراكِ الثُمُهُ ... شَغفاً وأقرأ عنده عَشْرا

وسربتُ في الظلمات أسألها   عن نازحيك تفرقوا شذرا

عن كل ملتجئٍ نبَا وطناً   واستنفَد العزماتِ والصبرا

فهَفا إلى التشريدِ يعصمهُ   وغَفَا عليه الغفوةَ الكبرى[57]

لقد كان للمأساة القاسية التي أصابت الشعب الفلسطيني أثر كبير في نفس عبد المنعم الرفاعي، فقد أصبح جزءاً من المأساة، يعاني مما يعانيه أبناء الشعب الفلسطيني المشردين من وطنهم وقد شكلت هذه القضية الانسانية حافزاً تثويرياً ترك أثره البالغ في الرفاعي الشاعر والرفاعي الانسان. فقد أصبح الشاعر واهي القلب، يعيش في عذاب مستمر على مختلف الصعد الاجتماعية والسياسية والشخصية مما جعله يخلو بنفسه، ويعتزل الناس من حوله، ويعيش وحدة قاسية، بيد أن هذه الحالة لم تمنع الرفاعي من الانتفاض والصحو على واقع مجتمعه الانساني ليصرخ بصوت عالٍ، منادياً رفع المعاناة عن الانسان أينما كان.

فالمشرد أو اللاجئ الفلسطيني أصبح رمزاً للشقاء والمهانة والذل، يعيش في حياة قاسية وفي ظلم وظلام دامس. يقول:

يا شقياً هزَّ أعطاف الزمانِ

ضربَ الليلُ عليه بالهوانِ

إنْ شربتَ الكأسَ نضّاح الأماني

لك قلبي خذْهُ واهي الخفقانِ

فهو نجواكَ إذا عزَّت أغاني

آتراني والأسى داجي المعاني

حائِمٌ حولي وداوٍ في كياني

فيهِ من أمسكَ أمسى ومكاني

خلوا من رَجْعِ لذاتٍ حسانِ

وعلى يومكَ أشلاُ الدخانِ

وسرابُ الوهمِ نائي اللَّمعانِ

والبطولات أحاديث الجبانِ

أتراني أنظمُ الشُكوى ثُراني

يا شريدَ الوطنِ الغالي المعاني(58)

لقد جعلت هذه المحنة الانسانية من الشاعر عبد المنعم الرفاعي ثائراً يفكر أكثر من غيره في سبيل رفع الظالم والمعاناة عن شعبه وعن المشردين والبائسين نتيجة لاحتلال وطنهم فلسطين. إذ كان لنكسة حزيران عام 1967 وقعها القاسي في نفس الرفاعي، حيث الخراب والموتى، والفقد والحرمان شكلت سمة غالبة على أبناء الشعب الفلسطيني الذي شرد من أرضه، وأصبح يعيش حياة قاسية. يقول الرفاعي:

وشكاةٍ باحتْ البلوى بها — بين أشباهِ خيامٍ ومَباني

وانا وحدي أداري في الدُّجى — ثورةٌ شمّاء تدوي في كياني(59)

ويقول أيضاً:

هكـذا الاهـلُ شِـتّاتٌ والحِمـى ضـائعٌ والعـارُ شَـجْوٌ وأغـاني (60)

إن النزعة الاجتماعية عند الرفاعي كانت ثورة للضمير الانساني الذي يتمثل في شخصية الشاعر عبد المنعم الرفاعي. فالعزلة والوحدة لم تمنع الرفاعي من المشاركة في كشف الظلمة عن شعبه، ورفع الظلم عنهم. فالرومانسي حساس أكثر من غيره ازاء القضايا الانسانية، فهو رقيق المشاعر، مرهف الحس، ولذلك نراه شديد التفاعل مع الأزمة الانسانية والمأساة الاجتماعية التي عانى ويعاني منها الشعب الفلسطيني في داخل وطنه وفي خارجه.

ولهذا فإن النزعة الرومانسية في شعر عبد المنعم الرفاعي قد تمثلت في موضوعات كثيرة – كما لاحظنا هي ديدن الشعراء الرومانسيين وموضع اهتمامهم، ومما يرتبط بهذه الموضوعات التي تعبر عن الذات الرومانسية في حزنها ووحدتها وعزلتها وحلمها ذلك التجديد الأسلوبي الذي أصاب الأداء الشعري لغة وأسلوباً والذي يكشف عن طريق اللفظة والجملة وأسلوب الاستفهام صوراً مختلفة لنفسية الرفاعي المعذبة والآملة في رفض الوحدة والموت والسعي نحو الحياة والبناء والاشراق.

الهوامش

*نشر هذا البحث في مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية في سوريا مج14، ع2، 1992.

(1)عبد المنعم الرفاعي (1917 -1985) فلسطيني من أسرة صفدية. وقد ولد في مدينة صور في لبنان. وصل إلى الأردن سنة 1925 وتعلم في مدارسها . ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت وتخرج فيها سنة 1937 في حقل العلوم السياسية. وعاد بعد ذلك إلى عمان ليعمل في سلك التعليم فترة قصيرة، ثم انتدب بعدها للعمل في ديوان الأمير عبد الله بن الحسين أمير شرقي الأردن آنذاك. وقد تقلد مناصب سياسية رفيعة كان آخرها منصب رئيس الوزراء في عهد جلالة الملك حسين بن طلال. وعلى الرغم من المناصب السياسية الرفيعة التي أنيطت به فان أبرز مزاياه أنه شاعر قوي اللغة، حريص على سلامة موسيقاه، كما أنه شاعر محافظ. بيد أن بعض النزعات الرومانسية التي ظهرت في شعره قد عكست شخصية الرفاعي ومعاناته الشخصية مثله مثل غيره من شعراء الحركة الرومانسية. للرفاعي ديوان شعر واحد هو ديوان" المسافر" . انظر عن الشاعر:

- عيسى الناعوري: الحركة الشعرية في الضفة الشرقية من المملكة الأردنية الهاشمية، منشورات وزارة الثقافة والشباب، عمان، 1980، ص 63.

- تركي المغيض: الحركة الشعرية في بلاط الملك عبد الله بن الحسين 1921 - 1948 ، منشورات وزارة الثقافة والشباب، عمان، 1980 – ص 81 ، ص 119.

- عبد الفتاح النجار: التجديد في الشعر الأردني. 1950-1978، دار ابن رشد للنشرو التوزيع، عمان، ط 1، 1990، ص 42.

(2)Claus Träger: Wörterbuch der litraturwissenschaft2.

Auflage. Leibzig 1989 . P 446.

Gero von Wilert: Sachwörterbuch der liteatur 7.

Auflage . Stuttgart 1989 P739.

ليليان ، ر، فرست: الرومانسية، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة دار الرشيد للنشر، بغداد 1982، ص 181.

غلاب محمد: أدباء الرومانتيكية الفرنسية، مكتبة نهضة مصر، الفجالة – القاهرة 1958 ، ص 12-13.

(3) النساج، سيد حامد: في الرومانسية والواقعية، مكتبة غريب، القاهرة 1977، ص 9.

انظر: عبد الوهاب محمد المسيري (مترجم): الرومانتيكية في الأدب الإنجليزي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1964 ، ص 11-16.

(4) حاوي، ايليا: الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة ، بيروت، 1980، ص 7-8، 12.

(5) ضيف شوقي: الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط58.

(6) العزب، يسري: القصيدة الرومانسية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986، ص 5.

(7) ضيف، شوقي: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص 60-61.

(8) موسى، محمد: عبد المنعم الرفاعي، ص 194.

(9) خليل، ابراهيم: الشعر المعاصر في الأردن، دراسات نقدية، عمان 1975، ص10.

(10) انظر موسى، محمد: عبد المنعم الرفاعي، ص 194-195.

(11) الرفاعي، عبد المنعم: المسافر، مطابع دار الشعب، عمان 1977، ص 20، وهو الديوان المعتمد في هذه الدراسة.

(12) المسافر، ص 116.

(13) المسافر، ص 62.

(14) المسافر، ص 63.

(15) هلال، محمد غنيمي: الرومانتيكية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1971، ص 147.

(16) موسى، محمد: عبد المنعم الرفاعي، ص 90.

(17) المسافر، ص 193.

(18) المسافر، ص 194.

(19) المسافر، ص 196.

(20) المسافر، ص 6-7.

(21) المسافر، ص 15.

(22) المسافر، ص 16.

(23) المسافر، ص 16.

(24) انظر: هلال، محمد غنيمي: الرومانتيكة، ص 147.

(25) انظر: موسى، محمد: عبد المنعم الرفاعي، ص 90.

(26) إنظر: هلال، محمد غنيمي، الرومانتيكية، ص 130.

(27) المرجع نفسه، ص 123.

(28) العزب، يسري: القصيدة الرومانسية، ص 49، وانظر: أمية حمدان، الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، دار الرشيد للنشر، 1981، ص 18-20.

(29) المسافر، ص 176-177.

(30) المسافر، ص 178-179.

(31) المسافر، ص 199.

(32) المسافر، ص 11.

(33) المسافر، ص 35.

(34) هلال، محمد غنيمي، الرومانتيكية، ص 135.

(35) المرجع نفسه، ص 134.

(36) المرجع نفسه، ص 135-136.

(37) المسافر، ص184

(38) هلال، محمد غنيمي: الرومانتيكية، ص 42.

(39) المرجع نفسه، ص 49.

(40) المرجع نفسه، ص 56.

(41) المسافر، ص 15-16.

(42) المسافر، ص 16-17.

(43) المسافر، ص 199.

(44) المسافر، ص 20-22.

(45) المسافر، ص 111-112، 116.

(46) المسافر، ص 207.

(47) المسافر، ص 93-94.

(48) جلكنر، روبرت، جيرالد وانسكو: الرومانتيكية ما لها وما عليها، ترجمة: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986، ص 248.

(49) المسافر، ص 105.

(50) المسافر، ص 108-109.

(51) المسافر، ص 112.

(52) المسافر، ص 107.

(53) المسافر، ص 142.

(54) المسافر، ص 142.

(55) المسافر، ص 131.

(56) العزب، يسري، القصيدة الرومانسية، ص 66.

(57) المسافر، ص 73.

(58) المسافر، ص 79.

(59) المسافر، ص 94.

(60)المسافر، ص 96.

المصادر والمراجع العربية

1- جلكنر، روبرت، وجيرالد وانسكو: الرومانتيكية ما لها وما عليها، ترجمة أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986.

2- حاوي، ايليا: الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة، بيروت، 1981.

3- حمدان، أمية: الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، دار الرشيد للنشر، بغداد 1981.

4- خليل، ابراهيم: الشعر المعاصر في الأردن، دراسات نقدية، عمان 1975.

5- الرفاعي، عبد المنعم: المسافر، مطابع دار الشعب، عمان 1977.

6- ضيف، شوقي: الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط 5، 1974.

7- العزب، يسري: القصيدة الرومانسية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986.

8- أبو العزم، طلعت عبد العزيز: الرؤية الرومانسية للمصير الانساني لدى الشاعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية 1981.

9- غلاب، محمد: أدباء الرومانتيكية الفرنسية، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة 1985.

10- فرست، ليليان، ر: الرومانسية، ترجمة. عبد الواحد لؤلؤة، دار الرشيد للنشر، بغداد 1982.

11- المسيري، عبد الوهاب محمد (مترجم) : الرومانتيكية في الأدب الإنجليزي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1964.

12- المغيض، تركي: الحركة الشعرية في بلاط الملك عبد الله بن الحسين 1921-1948 ، منشورات وزارة الثقافة والشباب، عمان 1980.

13- الناعوري، عيسى: الحركة الشعرية في الضفة الشرقية من المملكة الأردنية الهاشمية، منشورات وزارة الثقافة والشباب، عمان 1980.

14- النجار، عبد الفتاح: التجديد في الشعر الأردني 1950-1978 ، دار ابن رشد للنشروالتوزيع، عمان ط 1، 1990.

15- النساج، سيد حامد: في الرومانسية والواقعية، مكتبة غريب، القاهرة 1977.

16- هلال، محمد غنيمي: الرومانتيكية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة 1971.

المراجع الأجنبية:

1- Träger,Claus: Wörtervuch der literaturwissenschaft 2. Auflage. Leibxig 1989.
2- Wilpert, Gerw von: Sachwörterbuch der Literatur 7. Auflage. Stuttagart 1989.



الفصل الرابع

الغربة في شعر حسن بكر العَزَّازي



الفصل الرابع

الغربة في شعر حسن بكر العَزَّازي[1]

(1)

تمهيد:

تتناول الدراسة الاجتماعية والأدبية المعاصرة مصطلحين هما: الاغتراب والغربة. وذلك لما لهذين الموضوعين من أثر بارز في تشكيل الشخصية الانسانية سواء أكانت شخصية إنسان عادي أم شخصية فنان. ولما كان الاغتراب[2] يعكس حالة مرضية تصيب الانسان في كل زمان ولا سيما في هذا العصر المتسارع تكنولوجيا واقتصادياً واجتماعياً، وما يسبب ذلك للانسان من حالة مرضية تتمثل في العزلة والاكتئاب وعدم التكيف مع أفراد المجتمع، فإن الغربة تختلف عن الاغتراب في كونها تتعلق بالغربة المكانية وما يتولد عنها من حنين وشوق للوطن الأم بكل مكوناته من أهل ومجتمع وحضارة، فضلاً عن حالة الغربة الذاتية أو الروحية التي تتمخض عن الغربة المكانية فتجعل الانسان المغترب عن وطنه يلجأ

إلى استدعاء صور من الماضي كصور الطفولة، ومراتع الصبا، وبضع مكونات البيئة المحلية من طبيعة، وعادات، وتقاليد، ليجسد من خلال ذلك حبه وارتباطه بالوطن الأم الذي ولد وترعرع فيه، واليه ينتمي تاريخياً وثقافياً وحضارياً.

والغربة التي نحن بصدد دراستها في شعر حسن بكر العزازي هي غربة طوعية لا غربة قهرية، حيث جاءت هذه الغربة من أجل العمل والعلم معاً، يقول العزازي في توطئته لديوانه "عيون سلمي". لقد شاءت أقداري أن أغادر عمان في منتصف الخمسينات طلباً للعلم والعمل في أوروبا "[3]، إذن لم تكن غربة الغزازي ذات بعد سياسي أو قهري، وانما كانت غربة طبيعية تحدث مع كثير من الناس، تلك الغربة التي أصابت بني البشر منذ العصور القديمة، حيث كان الانسان في العصر الجاهلي مثلاً ينتقل من مكان لآخر طلباً للكلأ والماء[4]. وهذا هو ديدن الانسان منذ ذلك الزمن وحتى هذا العصر حيث يهاجر الناس إلى البلدان الغنية والمتقدمة علمياً وصناعياً طلباً لظروف معيشية أفضل مما هو في أوطانهم[5].

وقد جاء تناول موضوع "الغربة" عند الشاعر العزازي نظرا لأن هذا الموضوع يشكل الاطار الذي يجسد شعره، والبؤرة المركزية لقصائده وصوره في ديوان شعره الوحيد، فضلاً عن ذلك، فان الغربة في شعر العزازي قد أذكى نارها المرض العضال، وفكرة الموت وصورته التي رافقت حياة الشاعر طيلة اقامته في

بلاد الغربة، مما جعل لشعره نكهة خاصة، ولا سيما أن تنامي البناء الفني عنده قد جاء مرتبطاً في شعره بهذه الغربة، فضلاً عن ذلك، فإن الغربة المكانية في شعره تمثل رفض المكان الحلم الذي انتقل اليه وهو أوروبا أو بلاد الغرب بحضارتها المتسارعة وبين الوطن الأم الذي يقع في بلاد الشرق حيث الدفء والنخوة والكرم والتاريخ والحضارة، وهذا ما جاء في ثنايا شعر العّزازي[6] .

(2)

تتجسد ظاهرة الغربة في شعر العزازي في الغربة المكانية – بشكل عام – وما يتولد عنها من غربة عن الأهل والمجتمع والبيئة والذات، وأن الشعور بمرارة الغربة وشدة الحنين إلى الأهل والوطن ومرابع الصبا يتولد من خلال الاحساس بالموت أو اشتداد المرض[7]. وأن المرض العضال الذي أصاب الشاعر العزّازي فانحل جسده وذهب ببصره قد جعل من غربته غربة حقيقية. ولا بد هنا من تقسيم موضوع الغربة عند الشاعر العزازي إلى قسمين لأغراض الدراسة هما: الغربة المكانية والغربة الذاتية، فالغربة المكانية هي الاطار الذي يشكل غربة الشاعر، ويندرج تحته غربته الروحية أو الذاتية التي تتمثل في استدعاء الماضي، واستذكار أيام الطفولة ومرابع الصبا، ومكونات البيئة التي عاش فيها الشاعر، منتزعاً بذلك نفسه من مرارة غربته، وبعده عن وطنه الأم.

الغربة المكانية:

لقد شكل البعد عن الوطن عند الشاعر العزازي مصدراً للقلق وهاجساً للخوف، فقد قضى شاعرنا أكثر من عشرين سنة في بلاد الغربة لم يستطيع مع طول هذه المدة التكيف مع حضارة المجتمع الغربي وثقافته، تلك الثقافة التي تختلف عن ثقافة وحضارة المجتمع العربي الذي ينتمي العزازي إليه، فقد الشاعر في بلاد الغربة غريباً غير مندمج أو منصهر مع المجتمع الصناعي الغربي، إذ بقي الشاعر في قلق حول مصير هويته الحضارية الشرقية، فالانتماء والعودة والهوية الحضارية أصبح محور اهتمام الشاعر وهاجسه، ومصدر قلقه وتوتره، اذ إن السؤال الذي بقي يلازم العزازي هو السؤال عن الهوية والوجود والانتماء.

يقول في قصيدة "أين المفر":

أين المفرّ؟

حولك البحرُ.....

وحول البحر أشواكٌ ..... وغيلانٌ.....وصَخر

ومفازاتٌ وراءَ الشّوكِ.........

في أحشائها تيةٌ وجمرْ.....

أين تمضي؟ .... صاح بي اليأسُ...

ولستَ اليوم أو في الغد طير؟

خسيء اليأسُ؟

فما عمانُ إلا الوحي للفنّ والشعرْ

رغم أنفِ اليأسِ تبقى.....

في شعوري والنَّوى ضِفةَ نهرْ

تنبتُ الدُّفلى.....

ويبقى البعد عنها كبقاء الموت مُرّ(8)

تجسد هذه اللوحة الشعرية حالة الصراع بين المكان الطارئ والمتمثل في بلاد الغربة وبين الوطن الأم الموجود في ذهن الشاعر وقلبه، فاللوحة تصور حالة اليأس والقنوط والتقوقع في اطار الحضارة الغربية الجديدة، تلك الحضارة التي تشكل حصاراً من الشوك والصخر والغيلان التي تحاول منع الشاعر من الخروج منها، فهي تمثل الموت بالنسبة للشاعر، والبعد عن الوطن، الذي يمثل دوحة الشعر والفن والوجود الحضاري والثقافي، يعني الموت الحقيقي للشاعر العزازي.

فالصراع هنا، هو صراع ضد اليأس الذي يخاطبه العزازي بفعل الرفض والتوبيخ فيقول: خسيء اليأس، إن الشاعر يعيش هنا حالة من التوتر والصراع بين الذات وبين اليأس الذي يحاول فرض واقع جديد عليه، ويحاول استبدال حضارة العزازي بحضارة جديدة، تلك الحضارة التي يصفها الشاعر بأنها محاطة بالأشواك والموانع، لأنها حضارة مرفوضة لا يمكن للانسان التكيف معها أو الاستمرار في العيش في اطارها. وان علامات الاستفهام والتأثر التي وجدت في النص قد أبرزت حالة التوتر والصراع وعدم الاستقرار والثوران في ذهن الشاعر، تلك الحالة التي تعكس حالة الصراع الحضاري والبحث عن مكان انتماء حقيقي، ذلك الانتماء المتمثل في العودة الى الوطن الأم، ذلك الوطن الذي يمثل الامتداد والخلود، فهو وطن الشعر والفن والحضارة، بينما وصف الشاعر حضارة الغرب، المكان الجديد الذي انتقل عليه، بأنها محاطة بمفازات التيه والمرارة والجمر.

وقد تمثلت الصدمة الكبرى، للشاعر عندما حاول الاندماج مع الحضارة الغربية الجديدة ، فقد وجد نفسه غير قادر على التكيف معها على الرغم من أنه قد حاول ذلك عن طريق حصوله على الجنسية الهولندية، بيد أن الشاعر وجد نفسه حائراً مرفوضاً ورافضاً. فقد رفض حضارة الغرب في حين رفضه بلده الأردن من العودة إليه دون تأشيرة دخول اليه كأجنبي، تلك الصدمة من كلا الجانبين، حضارة

الغرب وحضارة الشرق المتمثلة في وطنه الأردن قد جسدها الشاعر في قصيدة بعنوان "تأشيرة" التي تصور عدم قدرته على السفر الى الأردن دون الحصول على اذن من سفارتها، وهذا الحالة قد دفعت العزّازي إلى معاتبة وطنه، بقوله:

ما للطريق الى عمانَ موصدةً	كأنَّ عمان ما كنت لنا دارا
ولم تكن برموش الهُدب عالقة	ولا شخصنا لها قلباً وأبصارا
كأنها ما أتت في الليل زائرةً	ولا أتينا لها في الحُلم زوّارا
ولا اتّخذنا من الأشواق طائرةً	او من حنين إلى عمان طيّارا
يا ريعنا في رُبى الأردن معذرةً	ما طاب يومٌ بلا عمانَ بل جارا
ولا سواها من البلدان يُعجبنا	ولا هوىً كهواها اشعل النار
سلوا رُبّاها فقد أودعتها زمنا	غرارتي وصبا قد صار تذكارا
تأشيرتي سيدي في الخدّ قد حُفرت	بأدمعُ الشوق شطآنا وأنهارا[9]

لقد كشفت هذه اللوحة عن حالة الوهن والضعف والشعور بالذنب عند الشاعر العزّازي، فقد عاتب الوطن الأم لعدم اعطائه تأشيرة دخول اليه بالسرعة التي يريدها، وأخذ يكشف عن حبه وتعلقه بالوطن، ويعاتب الشاعر الوطن من خلال استذكاره لسنوات العمر الأولى، وهي مرحلة الصبا التي قضاها في ربوع الوطن حبا وانتماء. فقد تساءل الشاعر بمرارة عن ذلك الرفض الذي وجده في طريقه إلى الوطن، كما قدم الشاعر اعتذاره للوطن واعلانه أن سنوات العمر خارج الوطن لم تقضِ على محبته وانتمائه، كما أن حصوله على الجنسية الأجنبية لم تفقده تعلقه بهوية وطنه الحضارية، فالشاعر يعيش حالة من القلق والحيرة والتردد والبحث عن استقرار نفسي ومكاني، وهذا لا يتحقق الا بالهوية الحضارية، والانتماء، والحب للوطن الذي يمنحه الاستقرار والعضوية الحقيقية كفرد ومواطن في مجتمع مختمر حضارياً وثقافياً[10]، ذلك المجتمع هو المجتمع العربي الشرقي الذي يجسد تلك الحضارة التي تحقق استقرار الشاعر، والتي سرت في دمه، وترسخت في قلبه، فلم يعد قادراً على قبول غيرها.

ويرتبط بالغربة المكانية الاحساس بالزمن المتسارع، فقد وصف العزّازي سنوات الغربة والبعد عن الوطن بسنوات التيه والضياع، يقول"

عشرون عاما من الأشواق والصبر ... مرت فكيف انقضت والله لا أدري

جرى بها الدهرُ تكذيباً لمن زعموا ... أن الزمان الذي تخشاه لا يجري

تلك الليالي توالت وهي في نظري ... صفرٌ يُضاف بهذا البين للصفر

بلى وربك يا عمانُ معذرةً ... لا تعدي سني التيه من عمري

فكم زعمتُ بهذا البين مفترياً ... أني زهدتُ بشوق قاصم ظهري

أقول لا مهجتي من شوقها احترقت ... ولا الحنين لك المدني من القبر

وليس أترابنا ظلوا كما عهدوا ... ولا بعمان ريعي عاد بي يدري(11)

ويجسد هذا النص المعنى الحقيقي للزمن الذي قضاه الشاعر غريباً خارج وطنه، فهذه المدة الزمنية التي تشكل نصف عمر الشاعر لا تعد من سني عن مره، فقد أسماها بسنوات التيه والضياع والتشرد وعدم الاستقرار. وقد قضى الشاعر شطراً طويلاً من حياته يبحث من خلال عمله ودراسته في بلاد الغرب عن وجود له في هذه المجتمع الحضاري الغربي الجديد، بيد أنه أحس بثقل سني الغربة وأن هذه الفترة الزمنية خارج الوطن لم تمكنه من الحصول على المال أو الاستقرار، وانما هي

سنوات تيه وتشرد، حيث أصبح الشاعر في حضارة الغرب مجرد رقم في بطاقة الهوية، بينما هو في وطنه الأم أكبر من ذلك بكثير، فالعزازي يحس بهروب وانقضاء الزمن بسرعة كبيرة، إذ ان الانتماء إلى المكان يرتبط بالزمن، فخشية الشاعر من ضياع الزمن، هو بحد ذاته الخشية من فقدان الوطن انتماء وحضارة[12].

وقد تنامى رفضه القاسي للغربة والرحيل عن الوطن من خلال قصيدته "طائر الأشواق" التي تجسد لحظة وداعه للأردن بعد زيارة قصيرة له. يقول:

تجيل طرفا على عمان دوارا والدّمع يهطل من عينيك مدْرارا

حارت عينوك في دار تشيّعُها قبل الرحيل.. أم الأحبابَ والجارا

لبئس يوماً وقفنا كي نودّعَها فيه ونلثم أحجاراً وأشجارا

وحانت الساعة الكبرى فماوجفت أرضٌ كقلبك أو مارت كما مارا

غداة طارت بنافي الجوّ طائرةٌ وقودها لوعتي تذكي بها النارا

ما كنتُ أحسبها عنقاءَ مُغربةً أو أنّ "حنظلة" قد بات طيّارا

العمر يجري ودمعي لم يزل غدقا يُجري سيولاً على خدي وأنهارا

تبُّ الرحيلُ وتبّت ساعة شهدتْ　　مُرّ الفراق فلا كانا ولا صارا[13]

يكشف هذا النص عن حالة التنازع بين حضارة الغرب بكل مقوماتها الاقتصادية والعلمية التي كانت موضع اهتمام الشاعر، وسبب غربته عن وطنه وبين الوطن "الأردن" الذي يمثل الوجود الحضاري والثقافي للشاعر، فنراه يغادر أرض الوطن وقلبه معلق به، وقد تنامى الاحساس بالرفض لفكرة الغربة من خلال استخدامه للعبارة "تب الرحيل"، ولعل في ذلك ايحاء دينيا من خلال آية "تبت يدا أبي لهب وتب"[14]، تلك العبارة التي تعني الرفض واللعنة على فكرة الرحيل والغربة، فضلاً عن ذلك فقد صور لحظة الرحيل بموعد قيام الساعة، وذلك ليجسد من خلال هذا المشهد هول المصيبة التي أصابته في غربته ورحيله عن وطنه. كما استخدم الشاعر رموزاً دينية تتمثل في لثمه حجارة بلده، ولعله بهذه الرموز مجتمعة يرى في وطنه ذلك الشيء الحضاري والتاريخي المقدس ازاء حضارة الغرب المصطنعة التي عد حياته فيها في قصيدة سابقة بحياة الضياع والتشرد والتيه.

إن ظاهرة الاحساس بالغربة المكانية قد تنامت من خلال بروز ظاهرة المرض العضال[15] الذي أصاب الشاعر، فقد عانى من أمراض مختلفة، كما فقد بصره نتيجة لهذه الأمراض، وقد انعكست هذه الحالة في شعره، فأضبح الانسان منها يقرأ

في شعر العزازي مأساة فقدانه لبصره، حيث شاعت في الديوان عبارات الدموع والعيون والعمى والبصر. يقول مشبها حاله بحال النبي يعقوب عندما استرد بصره من خلال قميص يوسف، حيث يرى الشاعر أن قميص عمان ورائحة الوطن ترد له بصره وتنسيه مصيبة العمى:

القوا على عيني اليسرى اذا عميت بثوب عمان إن الشوق أضنانا

ترتد مبصرة عيني اليسرى إذا عميت والأنف ينشق نسريناً وريحانا

لا ذكر عمان أغنى عن مودتها ولا هوى الغيد عن عمان أغرانا[16]

ويقول أيضاً:

قد كنتُ أشفق من دمعي على بصري فاليومَ كل عزيز (بَعْدَها) هانا[17]

لقد شكلت الغربة عن الوطن في ذهن العزازي ووجدانه الخطيئة والمصيبة والمعصية التي لا يمكن التكفير عنها الا بالموت الذي يجسد المغفرة والمنقذ له[18]، فعندما يعود الشاعر الى وطنه ويدفن فيه فانه يدفن معه سنوات الغربة والتيه والبعد، وينهي بذلك تلك الخطيئة التي لعنها أكثر من مرة والتي تتمثل في غربته

وابتعاده عن الوطن بكل مقوماته الحضارية والثقافية، ولذا يعد الشاعر دفنه في وطنه بمنزلة بشرى وخير يتخلص من خلاله من غربته عن الوطن. يقول:

أبي توفي بالأشواق محترقاً   من مات شوقاً الى الأردن ما اغتربا[19]

ويقول أيضاً:

أني أعيشُ بحلم لا يفارقني   حتى تفارقُ روحي يومها بدني

أن تدفنوني به إن حلّ بي أجلي   بطيب ذاك الثرى بُشراك ياكفَني[20]

الغربة الذاتية:

لقد تولد عن غربة العزازي المكانية في بلاد الغرب ذات الحضارة والثقافة المختلفة عن حضارة الشرق وثقافته غربة روحية أو ذاتيه جعلت منه غير قادر على التكيف مع حضارة المجتمع الغربي التي لم تكن أكثر من محطة مؤقتة في حياة الشاعر تنتهي بانتهاء الغاية التي سافر من أجلها، وهو الحصول على العلم والمال معاً. والواقع أننا لو دققنا النظر في حياة العزازي خارج وطنه الام لوجدنا أنها حياة متقلبة بين الصحة والمرض، والاندماج والانفصال الحضاري[21]، فقد قضى الشاعر وعانى خلال الغربة قسوة المرض ومرارة البعد عن الوطن والأهل وأيام الصبا، بيد

أنه حاول تقليص المسافة الحضارية بينه وبين حضارة المجتمع الغربي الجديد، وذلك بالحصول على الجنسية الهولندية كي يصبح فرداً وعضوا من أعضاء المجتمع، غير أن الحضارة التي ينمو فيها الانسان وتنمو معه شيء، والحضارة التي يحصل الانسان على عضويتها عن طريق التجنس بجنسيتها شيء آخر. فقد أخذ العزازي في هولندا دور المدافع عن حقوق العمال الأجانب، وبخاصة العمال العرب، وذلك ليقف إلى جانب أبناء جلدته وحضارته أمام أبناء الحضارة الغربية التي تتعامل مع الانسان مجرداً من حضارة بلده وثقافته. وبذلك يكون العزازي قد مثل الطرف الخصم أو المناهض بدل أن يصبح طرفاً من أطراف الحضارة الغربية، وخاصة بعد أن تخلى عن جنسية بلده ليتجنس بالجنسية الهولندية[22].

وقد تمثلت مظاهر الغربة الذاتية عند شاعرنا مع خلال قصائده المتعددة التي تفوح بذكريات الماضي وصور الطفولة ومراتع الصبا وأيام الشباب، ولا شك أن الغربة الذاتية والمتبلورة عن الغربة المكانية يتولد عنها الحنين الجارف والشوق العارم للوطن بكل مظاهره وذكرياته، ولعل أجمل الصور المتبقية في ذهن الشاعر المغترب هي صور الماضي وذكريات الطفولة والشباب في أحضان الوطن[23]. تلك الذكريات التي تستشرف الماضي، وتكشف الزمن، وتنتزع الشاعر من غربته المكانية لتعيده الى الوطن بأجمل صوره ومظاهره.

يقول العزازي في قصيدة "ذِكرى":

وليس أترابنا ظلوا كما عهدوا	ولا بعمان ربعي عاد بي يدري
يُكذّب الشوقَ ما زلَّ اللسانُ به	ويفضحُ الدّمعُ ما خبّأتُ في الصدر
لله درّك أشواقي التي نزعت	إلى ملاهي الصّبا في موطن الفَخْر
الى جباهٍ أبيات .. إلى خلق	هو السُّنا من جباه الأنجم الزُّهر
هل الشريعة فياضٌ كعادته	وهل تُقبّله الدّفلى على الثّغر
هل للجنادب موسيقى منغّمةٌ	وهل تغنّى على الحانها القُمري
هل الرُّعاةُ الى الأغنام قد دبكوا	على المزامير حتى مطلع الفجر
وفي البيادر هل "هَبَّ الهوا" وشدا	له المذري فأشجى الرُّوح بالسَّحر
وهل "بناعور" ظلّ" الظبيُ يشردُ من	لفح الهوى ويطيل الوصلَ بالسّر
سَقيا لعهدك يا عمانُ إن لنا	فيض الدموعِ وفضح العُذْرِ بالعَذْر(24)

ويضيء هذا النص طبيعة الغربة الذاتية عند شاعرنا، فقد جسد النص حنين الشاعر وفيض ذكرياته عن الوطن، كما رسم معالم ومظاهر البيئة المحلية بكل تفصيلاتها، وذلك نزوعاً إلى أيام الصبا والشباب في بلاد الشرق وبالذات في وطنه الأردن. إن هذا النزوع الرومانسي عندالعزازي يعكس تعلق الشاعر بوطنه ورفضه لكل مظاهر الحضارة والمدينة الغربية المعقدة. وإن رسم معالم المكان في هذاالنص يجسد البعد الزمني والروحي للشاعر، فقد أثارت هذه المشاهدة البيئية في وطنه المتمثلة في الرعاة ومزاميرهم، والمحبوبة في "ناعور" والأغنام والبيادر البعد الزمني في حياة الشاعر، حيث جنح العزازي الى تكثيف الذاكرة واستدعاء صور من الماضي الطفولي والشبابي ليستعيد وجوده وشعوره بكيانه الانساني الذي يتحقق في وطنه الأم: فقد أصبح للجنادب معنى جديداً يبعث موسيقي الحب والبساطة وليالي الأنس في ربوع البيئة الطبيعية في وطنه. وإن هذا النزع إلى البساطة والطبيعة هو ديدن الشعراء المغتربين منذ القدم[25]. إذ إن هذا النزوع يعد مخلصاً لهم من وحشه الغربة وقسوتها، ومعيداً لهم إلى وطنهم ودفء حضارته وثقافته.

ويعد الفخر والكبرياء والتباهي بالوطن بكل صوره مظهراً من مظاهر الغربة الذاتية [26]. فقد برزت روح الأنفة ومظاهر الاعتداد بالوطن والأهل في كل قصائد

شاعرنا، كما عكست هذه القصائد عدم تكيفه في ديار الغربة التي تعد غريب عن الشاعر حضارة وثقافة. فلا شيء عند العزازي يعادل كبرياء وطنه. يقول:

يا ريعنا في رُبى الأردنّ معذرة ... ما طابَ يوم بلا عمان بل جارا

ولا سواها من البلدان يُعجبُنا ... ولا هوى كهواها أشعلَ النار[27]

وفي لوحة أخرى تظهر الأنفة الحقيقية عند الشاعر التي تشفي الروح من غربتها، وتردها إلى موطنها، فضلاً عن اعتزازه بالقيم الخلقية والانسانية التي تشكل طبيعة الحياة الاجتماعية في وطن الشاعر "الأردن". يقول العزازي في قصيدة "رَبعْي":

إني لمن مَعْشر برّوا بما وعدوا ... أما الوعيدُ فمنا غيرُ مُنْتَظَرِ

نأتيك بالفعلِ قبل القول إن عصفت ... بنا الحمية لا تُغضي على صغر

قد تستغيثَ وما للمستغاث به ... حولٌ مع الأسد أو طولٌ مع القَدَر

ضاقت على رحبها الدّنيا عليك فلا ... ملاذ الا بنا أو عفو مُقْتَدر

نحن المنايا وسُمُ الرقط إن عضبت ... فإن عفونا فقُل أسخى من المطر

مـن طينـة الجـود صـاغَ اللهُ معـدننا والبحرُ شيمتهُ الاتيـان بالـدُّرر[38]

ويقول أيضاً في القصيدة نفسها:

وقولنـا "يـا هَـلا" للضـيف نكرمـهُ أحلى على سمعنا مـن رنّـةِ الـوَتر

الاردنـي إذا الـدُّنيا بـه غـدرت والناسُ ظـلٌّ عزيـزَ الـنفسِ بـالوَقر

يـا قـومي الصّـيدَ لـولا أنكـمُ بشـرٌ قالوا من الطُهر. ما أنتم من البشر[29]

تظهر هذه الأبيات الشعرية ذلك الرفض القاطع لغير القيم العربيـة الأصـيلة التي نمت في وجدان الشاعر وشكلت شخصيته. فها هو ينزع الشاعر روحياً إلى قـيم وطنه وأمته التي تمثل القيم الانسانية الحقيقية التي ينبغي توافرها في المجتمع الانساني، مجتمع القيم والتقاليد والثقافة وهذا ما تفقده المجتمعات الغربية التي أصبحت الحيـاة فيها حياة آلية تفتقد الى التقاليد والقيم التي تجسد المحبة بين أفراد المجتمع، تلك القـيم التي ما زال يحافظ عليها المجتمع العربي الشرقي. ولذا نرى الشاعر يعتـز بكـل أنفـة وكبرياء بقيم الكرم والسماحة والشـهامة والعفـة في ربـوع وطنـه الاردن. فـاعتزاز الشاعر بهذه القيم إنما هو اعتزاز بالتراث الحضاري للشـرق العربـي مقابـل ذلـك النزوع المادي للحضارة الغربية التي رفضها العزازي غير مرة في قصـائده. فالأبيـات

الشعرية تجسد النزعة الذاتية المتمثلة بعدم التكيف مع قيم المجتمع الغربي وحضـارته المادية.

إن نزوع الشاعر هنا إلى البساطة والقيم الانسانية هـو رفـض لالغـاء انسـانية الانسان، واحترام لمشاعر الانسان، وتجسيد لروح المحبة بين الناس، ولهـذا فقـد ركـز العزازي على صور الترحيب المتمثلة بعبارات الجود والكرم ولا سيما "يا هلا" الـتي تشكل عنوان المحبة الانسانية العفوية، تلك القيم التي افتقدها العزازي عندما اغترب عن وطنه، فحنت روحه اليها، ذلك الحـنين الـذي يعكـس النزعـة الذاتيـة للـوطن وقيمه، وتراثه، وعدم التكيف مع المجتمع الغربي الذي تحكمه المادية المقيتة.

(3)

إن من الطبيعي أن تؤثر الغربة المكانية والذاتية على بينة القصيدة، وذلك لأن الغربة ليست حادثاً بسيطاً أو عفوياً في حياة الانسان المغترب أو في حياة الوطن الذي يغترب أبناؤه عنه الى ديار أخرى طلباً للعلم أو العمل، فإن هذه الحالة تعمق من المشاعر المتبادلة بين الوطن وأهله، فيشتد الحنين وتبرز علامات ومظاهر الألم والحزن والحسرة في شخصية المغترب، ولا سيما عندما يكون المغترب شاعراً أو فناناً، فعندئذ تظهر الانفجارات العاطفية المصحوبة بمسحة من الألم والحزن الشديدين في شعره أو فنه[30]. وعندما يكون الشاعر مريضاً ومغتربا، فإن صورة الموت تكون أقوى في مخيلة الشاعر وفي عمله الشعري الابداعي، وبخاصة وهويعاني من ألم الغربة ومرارتها، وكذلك من صورة الموت المزعجة، وهذا ما أصاب فعلاً شاعرنا حسن بكر العزازي الذي قضى سنوات الغربة بين الحنين إلى الوطن ورفض الغربة، وبين الشكوى من المرض وقلق الموت، وذلك بعيداً عن الأهل والوطن.

ومن الواضح أن الشاعر عندما يفتقد الوطن والأهل يلجأ إلى تكثيف قدرته التخيلية وذاكرته من أجل استعادتة صور الماضي، صور الطفولة وايام زهو الشباب في أحضان الوطن، وكأننا فعلاً أمام مشهد لهروب رومانسي من الزمن الحاضر الى الزمن الماضي المرتبط بالمكان وهو الوطن الأم[31]. يقول الشاعر:

لله درُّكَ أشـــواقي الـــتي نزعـــت الى ملاهي الصِّبا في مـوطن الفخـر

إلى جبـــاهٍ أبيِّـــاتٍ.. إلى خلـــق هو السَّنا من جباه الأنجم الزهر[32]

إن الموضوع الشعري ينعكس بشكل واضح على الأداة عند شعراء الغربة، حيث تكثر اشارات الاستفهام، والنداء، والاستغاثة، والانفجارات العاطفية الباكية، مما يجعل الشاعر يركز على حروف وصور وتعابير معينة فيها اللين والبساطة والعفوية التي تجسد حالة القلق والتوتر وهاجس الخوف من المستقبل خارج الوطن الأم، تلك المشاعر المتمركزة في أعماق الشاعر[33]، تعكس الصورة الحقيقية للمغترب.

يقول العزازي: كلما فاضت بي الأشواق صاح اليأس بي:

أين المفر؟

حولك البحر أشواكٌ... وغيلان. ... وصخر

أين تمضي؟ ..... صاح بي اليأس.

ويقول في قصائد أخرى:

يا عيوني أنت يا سلمى وما خلق الباري كسلمى ثمّ سوّى[35]

يا لحـــرمانك لما لم تُعـــد بعد هذا من سكّانهـــــا[36]

لا...لا تطيقُ على سُلوانها جلداً سُلوان عمان آلام وأحزان[37]

وقـد فـرض موضـوع الغربـة علـى الشـاعر الابتعـادعن الزخـارف اللفظيـة والبديع، وكذلك جزالة الألفاظ وقوتها واللجوء إلى الكلمات السلسة والتركيز على حروف المد التي تمكن الشاعر من نفث همومه وأحزانه من خلالها، فضلاً عن ذلك، فقد لجأ الى التركيز على الموسيقى الحزينة الـتي تنقـل تـوتر الشـاعر، وتجسـد آلامـه وأحزانه. ولهذا فإن المرء يلاحظ بوضوح ابتعاد الشاعر العزازي عن الصور الشعرية المعقدة والمكثفة، فأصبحت لغة قصائده تميل إلى اللغة العادية البسـيطة مـع المحافظـة على سلامة اللغة والتراكيب الشعرية ، تلك اللغة البسيطة والعفوية تعبر عن شـيء مجرد في حياته، وهو غياب الوطن[38]. يقول العزازي في قصيدة" باقـة "الـتي تجسـد أصعب فترة في حياة الشاعر وهو يمثل علـى سـرير الـرض بعـد أن اسـتفحل فيـه

المرض وفقد بصره.. حيث استخدم الشاعر في هذه القصيدة عبارات بسيطة تنم عن المرارة والألم، لأنه فقد بصره دون أن يرى عمان الوطن والوجود، فقد ربط حبه لمساعدة عمان بابنته "سلمى" التي تمثل رمزاً للحب والانتماء مثل عمان الوطن والوجود. ولذا فقد استعمل حروف المد التي تحمل الطاقة المختزنة من الألم في أعماقه، فهذا الحرف يطلق الحسرة والألم المتمركزة في نفس الشاعر:

يا عيوني انت يا سلمى وما	خلق الباري كسلمى ثم سوّى
أنتِ نور العين في ظلمائها	وعبير الزهر في روضٍ مُروى
حين غاب النُور. عيني شاهدت	منك عبر الأذنِ أحلى ما بجوا
إن سلمى مثلُ عمانَ التي	لم تزل في خاطري والعين ضوا
خبرّيها يا سُليمى أن في	ذكرها العاطرِ للحُب سموا
جئتُها براً وبحراً في المُنى	ولها سافرت في الأحلام جوا[39]

ولما كان المكان هو الصورة الفنية التي تبعث فينا ذكريات الماضي في الوطن بكل مكوناته الجمالية والحضارية، فقد لجأ الشاعر إلى تكثيف الزمن والعودة بالذاكرة الى الماضي الجميل في ربوع بلده الأردن[40]. فقد جسدت مظاهر البيئة الأردنية من

الريف والبادية بعداً جمالياً، إذ إن هذه المظاهر تشكل حنين الشاعرإلى وطنه وضجره من غربته، يقول:

هل الرُّعاةُ إلى الأغنام قد دبكوا على المزامير حتى مطلع الفجر

وفي البيادر هل "هبَّ الهوا وشدا المُدري فأشجى الرّوح بالسَّحر[41]

ويقول في قصيدة "أين النَّشامى":

أين النشامى وراع ناح مجوزةُ أين الشياهُ وأين الخيلُ والايلُ

وما لعمان تأتي خلسةً... حُلما كظي ناعور لما كان ينتحل[42]

إضافة إل ما ذكر من خصائص فنية. فقد أكثر الشاعر العزازي من أسلوب التكرار في قصائده، وقد أخذ يكثر من عبارات: الدمع والحزن والنار والعيون والحطب، وذلك في توتر شديد يعكس حالة الاحتراق الداخلي عند الشاعر، حيث أخذت نار الغربة والشوق، إضافة إلى الحالة المرضية التي عانى منها الشاعر في بلاد الغربة بعيداً عن الوطن وحنان الأهل تزيد من ولعه ولهفة إلى زيارة الأردن، ولذا فإن موضوع الغربة قد فرض على بنية القصيدة عنده لغة خاصة، فأصبح الشاعر يستخدم لغة الحزن والشوق والاحتراق فيبكي من أجل وطنه شوقاً وحسرة[43]. كما برز أيضاً أسلوب الحوار والسرد في شعره، ولعل في ذلك ما يعوض الشاعر في غربته وعزلته عن حنان الأهل ودفء ربوع الوطن.

ولذا فقد أخذ الشاعر يستحضر ويستدعي في حوار مع ابنته سلمى مشاهد اللقاء مع الأهل والمعاتبة فيما بينهم لطول غربته، ليظهر بذلك شوق كل منهما للآخر، وعدم تنازل أي منهما عن الآخر مهما طال الفراق وطالت الغربة، يقول:

بـــالله ســـــلمى إذا عاتـــــبٌ عتبـــا ... علـى الفـراق ولم يعلـم لـه سـببا

قـولي أبـي كانـت الأشـواق تُحرقـهُ ... فكـان في شـوقه النـار والحطبـا

وقـد تـرى الـدمع في عينـه منبجسـاً ... إذا ذكرت الحمـى والأربـع انسـكبا

عمـــان كانـــت لـــه لحنـــا وأغنيـــة ... وكانـــت الأم والأردن كـــان أبـــا

كانـــت قصـــيدتهُ... كانـــت معلقـــة ... على الرُموش تُناجي الجفنَ والهُدبا

بهـــا تهجَّـــد لـــيلا حـــين نســـمعُهُ ... إذا انطوى الليل الفينـاهُ مُنتحبـا[44]

الهوامش

* نشر هذا البحث في مجلة آداب المستنصرية، جامعة المستنصرية، بغداد، ع 22-23، 1992.

(1) ولد الشاعر الأردني المغترب حسن بكر العزازي في مدينة عمان سنة 1936 . وقد أنهى دراسته الثانوية في مدارس عمان، وسافر بعدها الى دول الخليج العربي، حيث عمل هناك مدة قصيرة من الزمن، ثم سافر بعد ذلك الى هولندا. وقد حصل أثناء عمله في هولندا على درجة الماجستير في العلوم السياسية. وتسلم في اذاعة هولندا/ أمستردام منصب رئاسة التحرير لقسم الشرق الأوسط. والشاعر العزازي متزوج من سيدة هولندية وله ابنة وحيدة اسمها "سلمى" ، ومن هنا جاءت تسميته لديوانه الوحيد بـ (عيون سلمى).

لقد عاش العزازي حياة صعبة وقاسية في ديار الغربة، حيث عانى لمدة عشرين سنة من مرض عضال، أنهى هذا المرض حياته بعد أن أفقده بصره وهو في مقتبل العمر. وقد كان العزازي قوي الارداة، وقومي النزعة مع شدة حبه لبلده الأردن. وكتب العزازي في مجلات عربية وأجنبية، وله مقالات في النقد الأدبي، وكتابات قصصية نشرها باللغة الانجليزية في اذاعات هولندا وأمريكا واستراليا. وقد تحدث

في قصصه عن هموم العمال العرب والأجانب، ولا سيما أنه قد تلمس هموم هذه الفئة الكادحة من الناس من خلال عمله كعضو منتخب في مجلس العمال الأجانب في هولندا. ويحمل العزازي الجنسية الهولندية، وقد توفي بعد مرض عضال، ودفن في هولندا في 16/ 12/ 1983، وذلك على غير ما تمنى بأن يدفن في ثرى وطنه الأردن، ليكون تكفيراً له عن غربته خارج وطنه. يقول:

تمضي الليالي وأحلامي محلقةٌ إلى رُباه فليت البينَ لم يكنِ

يطير بي الشوقُ للأردن كل غد على جناح أوانٍ بعد لم يئن

وما يحل غدي رغم الوعود به كأنما الغد لم يجبل به زمني

إني أعيش بحلمٍ لا يفارقني حتى تفارق روحي يومها بدني

إن تدفنوني به إن حل بي أجلي بطيب ذاك الثرى بُشراك يا كَفَني

(عيون سلمى، ص 25)

انظر عن حياة الشاعر:

- حسن بكر العزازي: عيون سلمي (توطئة الديوان)، دار البتراء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1983.

- محمد سمحان : حسن بكر العزازي في عيون سلمى (ضمن كتابه: مقالات في الأدب الأردني المعاصر)، منشورات وزارة الثقافة والشباب والآثار، عمان 1983 ، ج 1/ ص47.

(2) ولما كان موضوع الاغتراب ليس مجال هذا البحث فلا بد إذن من إضاءته في هذا الهامش، فالاغتراب يشكل البكر مشكلة يعاني منها انسان القرن العشرين، حيث انفصل الانسان عن الانسان في المكان وتباعد في الزمان، فالمعاناة والشعور بالوحدة وبالقضاء المحتوم تشكل سمة واضحة في شخصية المغتربين وسلوكهم. فالاغتراب نمط من التجربة يعيش الانسان المغترب من خلال هذه الظاهرة المرضية كشيء غريب. والاغتراب يشكل تنافراً بين الطبيعة الجوهرية للشخص المغترب ووضعه وسلوكه الفعلي. ويلاحظ ف. و. يلستون أن الاغتراب عند هيجل يوجد في بنية العمل شروط العمل البشري لأن يغترب عن عمله، وعن ذاته، وعن زملائه، بينما يؤكد ريتشارد شاخت في كتابه "الاغتراب" أن هذا الموضوع يرتبط بحالة مرضية يعاني منها الانسان، سواء أكان من خلال القصور العقلي أو الصراع أو فقدان الوعي. كما أن ثمة استخداماً آخر للاغتراب بمعنى الغربة بين البشر، ففعل alienare يفيد معنى التسبب في فتور علاقة شخص مع آخر أو في حدوث انفصال. ولهذا فإن الغربة المكانية تمس في بعض الحالات

جانباً أو مظهراً من مظاهر الاغتراب. بيد أن هذا المصطلح "الاغتراب" ما زال غامضاً ويعاني من قلة المصادر والبحوث، وبخاصة في مجال اللغة العربية وطبيعي أن هذا الغموض، والندوة في المصادر والبحوث، وبخاصة في مجال اللغة العربية، وطبيعي أن هذا الغموض، والندرة في المصادر يعودان إلى اتساع وشمولية هذا المصطلح، ولا سيما أن الاغتراب قد أصبح يشكل ظاهرة انسانية لا تقتصر على المجتمع الصناعي فقط، وأصبح يعني كذلك نمطاً اجتماعياً متعدد المظاهرة، فمنها الانسلاخ أو الانعزال، أو العجز وعدم التلاؤم، والاخفاق في التكيف مع الاوضاع السائدة في المجتمع. حول هذه الاضاءة المختصرة لمصطلح الاغتراب، انظر:

- ف. شيربينا: الاغتراب والأدب المعاصر (ضمن كتاب لمجموعة من المؤلفين بعنوان: دراسات في الأدب والمسرح) ، ترجمة: نزار عيون السود، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق 1976، ص 33.
- فروم، أريك: الحب في قبضة تنين الاغتراب (ضمن كتاب: الاغتراب في الفلسفة المعاصرة لمجاهد عبد المنعم مجاهد)، سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 1985، ص 13-14.

- مجاهد، عبد المنعم مجاهد: هيدجر راعي الوجود، سلسلة "المغتربون" (1)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1983، ص 17.

- ماكوري، جون: الوجودية، ترجمة: إمام عبد الفتاح امام، سلسلة عالم المعرفة رقم 58، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1982، ص 295.

- ابراهيم، بدوي، عبده: الغربة المكانية في الشعر العربي الحديث، مجلة عالم الفكر، العدد ابريل – يونيو، الكويت 1984، ص 13-15.

- ابراهيم، محمود: الاغتراب الكافكاوي، "مجلة الفكر" العدد يوليو – سبتمبر، الكويت 1984، ص 79.

- شاخت، ريتشارد: الاغتراب، ترجمة: كمال يوسف حسين، المؤسسة العربية، بيروت 1980، ص 63.

- ابو زيد، أحمد: الاغتراب، "مجلة عالم الفكر"، مج 10، الكويت 1979، ص 4-5 (المقدمة).

(3) العزازي، عيون سلمى، ص 15.

(4) فهمي، ماهر حسن: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، دار القلم، الكويت ط2، 1982، ص 7.

انظر. بدوي، عبده: الغربة المكانية في الشعر العربي الحديث، مجلة عالم الفكر العدد ابريل – يونيو، الكويت 1984، ص 13-15.

(5) انظر القيسي، نوري حمودي: الحنين والغربة في الشعر العربي (فصل ضمن كتاب للمؤلف: نفسه بعنوان: محاولات في دراسة اجتماع الأدب)، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الخارجية والاعلام، بغداد، ط 1، 1987، ص 84 الخشروم، عبد الرزاق الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1982، ص 13-15.

(6) انظر. العزازي: عيون سلمى، ص 47-49، 59-60، 65.

(7) انظر. بدوي: الغربة المكانية في الشعر العربي، ص 24.

(8) العزازي: عيون سلمى، ص 45.

(9) المرجع نفسه، ص 27، 28.

(10) انظر، سعيد، خالدة: حركية الابداع في دراسات الشعر العربي الحديث، دار العودة، بيروت ط1، 1979، ص 44.

(11) العزازي: عيون سلمى ، ص 31.

(12) انظر: سعيد: حركية الابداع،ص 30.

(13) العزازي: عيون سلمى، ص 73-74.

(14) سورة المسد: الآية 1.

(15) حول علاقة المرض بالشعر في الأدب العربي. انظر: بدوي: الغربة المكانية في الشعر العربي، ص 24، القيسي: الحنين والغربة في الشعر العربي، ص 87.

- فهمي: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، ص 242.

(16) العزازي: عيون سلمى، ص 53، 54.

(17) المرجع نفسه، ص 81.

(18) سمحان: حسن بكر العزازي في عيون سلمى، ص 58.

(19) العزازي: عيون سلمى، ص 77.

(20) المرجع نفسه، ص 25.

(21) انظر ابراهيم، زكريا، مشكلة الانسان، مكتبة مصر - الفجالة -القاهرة. تقريباً 1971 - ص 37.

(22) انظر الهامش رقم (1) في هذا البحث.

(23) انظر. بدوي: الغربة المكانية في الشعر العربي، ص 34.

(24) العزازي: عيون سلمى، ص 31-32.

(25) انظر. ساعي، أحمد بسام: حركة الشعر الحديث في سوريا من خـلال أعلامـه، دار المأمون للتراث، دمشق ط 1، ص1978، ص 441.

(26) ساعي: حركة الشعر الحديث في سوريا، ص 457.

(27) العزازي: عيون سلمى، ص 28.

(28) المرجع نفسه، ص 33.

(29) المرجع نفسه، ص 34.

(30) بدوي: الغربة المكانية في الشعر العربي، ص 34-38

(31) المرجع نفسه، ص 37.

(32) العزازي: عيون سملى، ص32

(33) بدوي: الغربة المكانية في الشعر العربي ص 38

انظر. سمحان: حسن بكر العزازي في عيون سلمى، ص 60.

(34) العزازي: عيون سملى ص 44.

(35) المرجع نفسه ص 35

(36) المرجع نفسه، ص 37

(37) المرجع نفسه ص 42.

(38) بدوي: الغربة المكانية في الشعر العربي، ص 38

(39) العزازي: عيون سلمى، ص 35.

(40) باشلار، جاستون: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد 1980، ص 46. انظر مقدمة مترجم الكتاب، ص7.

(41) العزازي: عيون سلمى، ص 32.

(42) المرجع نفسه، ص 43. النشامى: جمع نشمي وتعني في الأردن وبلاد الشام والجزيرة العربية الشجاع وأصلها من التعطر بالمنسم وهو نوع من الطيب، كانوا قديماً إذا تعطروا به اشتد القتال والخصام بينهم في الحرب. المجوز هو آلة موسيقية تشبه الناي.

(43) اضافة إلى الاقتباس رقم44 الذي يجسد هذا البعد الفني، انظر كذلك الأمثلة الشعرية التالية في ديوان عيون سلمى، ص 37، 40-44، 53، 73-75.

(44) العزازي: عيون سلمى، ص 75.

المراجع العربية والمترجمة

1- ابراهيم، زكريا: مشكلة الانسان، مكتبة مصر، الفجالة – القاهرة، تقريباً 1971.

2- أبو زيد ، أحمد: الاغتراب، "مجلة عالم الفكر"، مج 10، الكويت 1979 (المقدمة ص 3-12)

3- باشلار، جاستون: جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد 1980.

4- بدوي، عبده:الغربة المكانية في الشعر العربي، "مجلة عالم الفكر"، العدد ابريل – يونيو، الكويت 1984 (ص 13-40).

5- الخشروم، عبد الرزاق: الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1982.

6- ساعي، أحمد بسام: حركة الشعر الحديث في سوريا من خلال أعلامه، دار المأمون للتراث، دمشق، ط 1، 1978.

7- سعيد، خالدة: حركية الابداع في دراسات الشعر العربي الحديث، دار العودة بيروت، ط 1، 1979.

8- سمحان، محمد: حسن بكر العزازي في عيون سلمى (ضمن كتاب مقالات في الادب الأردني المعاصر) الجزء الأول، منشورات وزارة الثقافة والشباب والآثار، عمان .1984

9- شاخت، ريتشارد: الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية، بيروت 1980.

10- شربينا. ف: الاغتراب والأدب المعاصر (ضمن كتاب: دراسات في الأدب والمسرح لمجموعة من المؤلفين)، ترجمة : نزار عيون السود، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق 1976.

11- العزّازي: حسن بكر: عيون سلمى، دار البتراء للنشر والتوزيع، عمان ط1، .1983

12- فروم، أريك: الحب في قبضة تنين الاغتراب (ضمن كتاب" الاغتراب في الفلسفة المعاصرة لمجاهد عبد المنعم مجاهد)، سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 1985.

13- فهمي، ماهر حسن: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، دار القلم، الكويت، ط2، 1985.

14- القيسي، نوري حمودي: الحنين والغربة في الشعر العربي (فصل ضمن كتاب للمؤلف نفسه بعنوان: محاولات في دراسة اجتماع الأدب)، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ط 1، 1987.

15- ماكوري، جون: الوجودية، ترجمة: امام عبد الفتاح امام، سلسلة عـالم المعرفـة رقم 58، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1982.

16- مجاهد، مجاهد عبد المنعم: الاغتراب في الفلسفة المعاصرة، سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1985.

17- مجاهد، مجاهد عبد المنعم: هيدجر راعي الوجـود، سلسـلة "المغتربـون" (1) دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة 1983.

18- محمود، ابراهيم: الاغـتراب الكافكـاوي، مجلـة عـالم الفكـر، العـدد يوليـو – سبتمبر، الكويت 1984 (ص 77-124).

المؤلف في سطور

- الأستاذ الدكتور محمود محمد حسن درابسة.
- مواليد الزرقاء 6/ 1/ 1958
- حصل على الدكتوراة من جامعة ساربروكن/ ألمانيا عام 1990م.
- يعمل حالياً أستاذاً للنقد في جامعة اليرموك/ اربد – الاردن.

صدر له:

1-النقد النثر عندالعرب من القرن الثالث حتى نهاية القرن الخامس الهجري (باللغة الألمانية) برلين 1990 م.

Die Kritik der prosa bei den Araberm
Vom3/9.jahr. bis zum ende des 5/11. Jahr.
Berlin 1990. Mahmoud Darabseh

2- ابن أبي عون وكتابه التشبيهات، المركز الجامعي، اربد 1994، وطبعة ثانية في مؤسسة حمادة للنشر، اربد 2002م.

3- مفاهيم في الشعرية، دراسات في النقد العربي القديم، مؤسسة حمادة للنشر، اربد 2003.

4- الاستشراق الالماني المعاصر والنقد العربي القديم، مؤسسة حمادة للنشر، اربد 2003م.

5-التلقي والابداع. قراءات في النقد العربي القديم، مؤسسة حمادة للنشر، اربد 2003م.

6- إشكالية المعنى الشعري، قراءات نقدية في الشعر العربي، مؤسسة حمادة للنشر، اربد 2004.

7- فن الكتابة والتبعير، تأليف مشترك لصالح جامعة اليرموك 2003 م.

8- رؤية نقدية. دراسات في القديم والحديث. دار جرير للنشر، عمان 2005م.

9- إضافة إلى عشرات البحوث العلمية المحكمة في مختل المجلات الجامعية داخل الأردن وخارجه.

10- نظرية الأدب الأرسطية العربية، تأليف جريجور شولر، ترجمة الدكتور محمود درابسة، دار جرير للنشر، عمان 2007.

11- تداخل الأنواع الأدبية، إشراف وتحرير (مشترك)، مؤسسة عالم الكتب، إربد 2008.

تشكيل
المعنى الشعري

